صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

شارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مصر
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٢٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ — ١٦ فبراير سنة ١٩٥٣ — السنة الحادية والعشرون

فهرس العدد

١٦٠٤٠

الفن بخير

للأستاذ محمود تيمور

المسرح يقاسى اليوم محنة عسراء، محنة يدرك وطأتها أهل الفن، ويخشون منها أسوأ العقبى. ولست أعنى مسرحنا المصرى وحده، فالمحنة عامة يصلى نارها المسرح كله فى العالم المتحضر أجمع

لا يغرنك ما عسى أن تراه من إقبال الناس على دور التمثيل، وما تشهد من شغفهم بها فى مختلف الأمم. فإن الحقيقة الواقعة التى يعرفها الواقفون على بواطن الأمور أن المسرح لا يستطيع الثبات فى الميدان الفنى، معولا على نفسه، مكتفيا بقوته؛ فهو فى غالب شأنه ينشد العون، ويلتمس من العوامل المتنوعة ما يكفل له البقاء والاستمرار

لقد أتى على المسرح حين من الدهر لم يكن فيه مفتقرا إلى مؤازرة وناصر، وإنما كان فى ازدهاره وتألقه موفور القوة، شديد الأسر، مشارا إليه بالبنان. فأما اليوم فإنه يفقد ما سلف له من تألق وازدهار، بل إنه ليبلغ منه

الاضمحلال كل مبلغ ، حتى أن بعض النقاد ليبادرون إلى نعيه ، والترحم عليه ، وما زال فيه رمق ، وما برحت تتردد فيه أنفاس !

ولو صدق هذا التطير بمستقبل المسرح ، لكان ذلك رزءا يثير الأسى ويستتبع الحسرة ، فللمسرح من العشاق والمشايعين خلق كثير ، وإنهم ليعدون رحيله عن عالم الفن زوالا لمظهر أنيس جذاب ، صحب الإنسانية ردحا من الدهر وكان له أطيب الأثر فى صقل الأذهان وتبصيرهـا ، وفى رياضة النفوس والترفيه عنها

فماذا دهى المسرح حتى تغشاه هذا الاضمحلال ؟

وما تلك الأسبـاب التى تسوغ التشاؤم بمستقبله ، وتوقع القضاء عليه ؟

وما تباينت الأسباب واختلفت ، بيد أنها تتجمع كلها فى كلمة واحدة ، هى : « السينما »

حقا لقد استطاعت « السينما » خـلال ثلث قرن أن تزعزع قواعد المسرح ، وأن تنال من سلطانه ... وهى التى تديل دولته إن كان مقدرا عليه أن يصير إلى زوال

نشأت هذه« السينما » تعمل فى ميدان المسرح نفسه منتهجة أغراضه متخذة أدواته ، ولم تكن نشأتها ضربا من العبث ، أو لونا من التطفل ، وإنما كانت وليدة عوامل طبيعية قضى بها حكم الحياة ونظام العمران

لقد أخذ العالم منذ القرن الماضى يصطنع الآلة فى شتى أسباب العيش ، فكانت « السينما » نتيجة من نتائج هذا التطور الآلى ، وكانت لونا من ألوان التطبيق العملى له ، فهى إذن مظهر طبيعى يلائم العصر ، ويسايـر التجدد

من سرف القول أن تعد « السينما » خصما للمسرح فالفن السينمائى فى جوهره هو ابن المسرح وربيبه ، تخلق من لحمه ودمه ، واغتذى بلبانه ، فهما مما يتقاسمان عناصر الفن من رواية ومنظر وتمثيل

فإذا أردت الدقة والتعمق تجلت لك « السينما » على أنها امتداد للمسرح ، أو تطور له ، وفقا لحقيقة التجديد وطوعا لروح العصر ، فهى مسرح آلى مستحـدث ، يستكمل ما عجز عنه المسرح القديم ، ويخلفه فى أداء رسالة الفن للجيل الجديد

لا غلو فى القول بأن « السينما » قد حلت محل المسرح وقد تناولت منه المشعل ، لتمضى به أسطع توهجا ، وأبعد مدى ، بيد أن هذا لا يمنع أن يبقى للمسرح نوع من الحياة فى إطار ضيق ، وإن فقد ما كان له من سيادة وقيادة

لكأن المسرح قصر عظيم على الطراز القـــديم ، تكاملت له الفخامة والأبهة . ولكنه لم يعد يواتى العصر الحاضر بحاجاته ومطالبه

أو لكأنه « جنتلمان » هرم يتباهى بمجده ، ويعتز بأرستقراطيته ، ولكنه قاعد متخلف يدب فيه البلى ، ينافسه ما للشباب من فورة ووثبة ونشاط

أو لكأنه مؤسسة نبيلة الغرض ، رفيعة الهدف ، ولكنها لا تملك أن تعيش بما لها من جهد ، فهى أحوج ما تكون إلى ضروب الصدقات وألوان المعونات ، لكى تؤتى ثمارها طيبات

أو لكأن هذا المسرح إمبراطورية عظيمة ، فقدت عناصر المرونة للتطور الحديث ، فلم تعد مواتية لروح الشعوب التى تحكمها ، فليس لها إلا أن تغدو دويلة صغيرة تساير ركب الدول ، متنحية عن مكان الزعامة الذى كانت تملأه فيما خلا من العهود !

وفى معتقدى أن المحاولات التى يبذلها للمسرح أنصاره ومحبوه ، جديرة أن تشد من عضده ، ولكن هـذه المحاولات — مهما تبلغ من قوتها — لا تحتفظ للمسرح بما كان له من مركز الزعامة ، ولا تستطيع أن تزحزح « السينما » عن مكانها الذى سمت إليه ، لتؤدى فيه رسالة الفن على أوسع نطاق

ليس من الخير أن ننظر إلى المسرح و « السينما »

باعتبارها عدوين، فلنجعلهما يمضيان معا جنبا إلى جنب، يبذل المسرح «للسينما» ما يبذل الأب لأبنه من عطف وحدب، وتعرف «السينما» للمسرح حق الأبوة من بر وولاء

لقد تكاثر حديث النقاد في شأن المسرح و «السينما» على تباين واختلاف ... فهذا يقيم من حديثه حفلا تكريما «للسينما» يؤيد به ما أوتيت من زهو، وما بلغت من فوز. وذلك يجعل حديثه مناحة أليمة للمسرح، يسح فيها الدمع الهتون على الفن الشهيد!

ولسنا في هذا المقام نريد تكريما «للسينما» أو تأبينا للمسرح، وإنما بغيتي استكناه ذلك التطور الفني الذي مهد «للسينما» أن تتسنم تلك المكانة، فساق المسرح إلى ذلك المصير

في الغرب والشرق جميعا جمهرة من المفكرين ينعون على «السينما» أنها ليست من الفن في شيء، بل إنها تقضي على الروح الفنية التي أذكاها المسرح وبثها في جوانب المجتمع البشري، ولهذه الجمهرة من المفكرين معارضون كثيرون ينتقصون من قدر المسرح، وينادون بأنه ليس إلا طورا من أطوار الفن عتيقا، لم يعد للتقدم العصري كفئا، فعلينا أن نقوم على تكفينه، وأن نشيعه إلى مقره الأخير، نهيل عليه تراب النسيان!

وأولئك الذين يضيقون «بالسينما» يأخذون عليها أنها «آلية» فهي تعتمد على الآلة كل الاعتماد. وليس ضيقهم «بالسينما» إلا نوعا من ضيقهم «بالآلية» في كل مظهر من مظاهرها في العصر الحديث، إذ يحسبون أن هذه الآلة لا تمتد إلى لون من ألوان الفنون إلا أفقدته عنصره الأصيل، وجوهره الرفيع!

فهل صدق الساخطون على الآلة في حسبانهم أنها تقضي على الفن، أو على الأقل تمسخه وتشوه جماله؟ وهل الآلة كما يقولون رمز تدمير للحضارة، وانهيار للعالم على وجه عام؟

شد ما يغلون في هذا الحكم! وشد ما يستسلمون لأوهام الفروض والتخمينات حين يستشعرون الذعر من الآلة، ويقدرون لها أوخم الآثار!

لنكن متفائلين بالعصر الآلي وما ينجم عنه، وليكن هذا التفاؤل على أساس أن العالم يتطوره متجها أبدا وجهة الخير، لأن القوة التي إليها مرد الأمر كله في هذا الكون قوة خيرة في صميمها، وبذرة الخير الكامنة في الطينة البشرية هي التي تدفع به دائما إلى التجدد والتطور، فهذا العالم ماض إلى الخير قدما، وإن تعثرت خطاه بأشواك الشر حينا بعد حين

وبرهان هذا ساطع كل السطوع في تاريخ البشرية والحضارة منذ الأحقاب الخالية، منذ كان الكون سديما إلى أن انبسط أديم الأرض، ودب على ظهرها الإنسان، وقامت هذه المدنيات العظيمة على أنقاض الكهوف والغابات

وما برح التطور موصول الخطا، نحس به فيما ندرك من نواميس الطبيعة، وقوانين الحياة، وفيما نتخذ من وسائل الحضارة وأنظمة الاجتماع

وهذا التطور ينتقل به المجتمع البشري من حسن إلى أحسن، إلا أنه يقتضي مزاولة التجربة بعد التجربة. وهيهات أن يستقر للحياة طور من أطوارها إلا بعد أن يثبت كفايته في ذلك الميزان العظيم: ميزان بقاء الأصلح... فالأحياء لا يبقى منها إلا ما يصلح أن يكون عونا على تطور الإنسانية والمضي بها إلى الأمام. والأنظمة على اختلاف أهدافها ومناحيها لا يستقر منها إلا ما هو كفء لتوفير الحياة المثلى

وما أقسى هذه التجارب التي يزاولها الإنسان!

وما أكثر ما يكون فيها من تعسف وعنت!

ولكن ذلك كله لا مفر منه لكي تظفر البشرية بالانتقال من طور إلى طور يمضي بها خطوة في سبيل الخير العام

والآلة ليست إلا وليدة ضرورة طبيعية أحس بها الإنسان . وهي نتيجة حتمية للتطور البشري الذي لم يكن منه بد . وإننا لنجد الآلة وقد أتت بالمعجزات في مجال التحضر ، وبها تأثرت مذاهب الاقتصاد ونظم الاجتماع حتى أصبحت هناك قيم للحياة جديدة ، تلائم ذلك التطور الذي أدت إليه الآلة في عصرها الجديد

وفي مقدورك أن توازن بين الإنسان القديم ، إذ كانت الآلة لم تخترع ، أو على الأصح حين كانت الآلة في مظاهرها العاجز المحدود ، وبين الإنسان الحديث ، إذ بلغت الآلة هذا المبلغ العظيم من القوة والجبروت ، فإنك إذا أجريت هذه الموازنة تجلى لك الفرق شاسعا بين الماضي والحاضر في مجال الرقي الثقافي والاجتماعي ، المادي والمعنوي . وإذن يستبين لك فضل الآلة فيما شمل الإنسانية من رخاء وانتعاش ، وفيما فاض عليها من بركة وخير

وهذه الآلة من صنع الإنسان ، توسل بها إلى أن يختصر المسافات ، وأن يختزل الأزمنة ، وأن يسخر بها ما في الأرض والسماء من قوى وعناصر . وهي في يده ، يحركها بإرادته ، ويسيطر عليها بحكمته . فإن وقف منها موقف الحزم والتبصر استطاع أن يفيد منها ما شاء . فأما إن أساء استعمالها ، وأفلت منه زمامها ، فإنها تدمر مدنياته وتدمره معها . ولكن الأمل وثيق ألا يفقد الإنسان رشده ، وأن يظل ضابطا للآلة في يده ، حتى تكون طوع خيره ... بها يتم نفع العالم ، وعليها تقوم عمارة الكون

وإن صحبة الإنسان للآلة فيما يمارس من أسباب عيشه ومرافق حياته ، ستخلق منه إنسانا جديدا يتخذ له في نظامه الاجتماعي طرازا جديدا ، فإذا هو يتطور في نزعاته النفسية ، وفي مطالبه العقلية ، وفي ذوقه الفني ، وفق التطور الحديث الذي تسنه الآلة على المجتمع البشري

ما من شيء كانت تصنعه الأيدي إلا وقد امتدت إليه الآلة تصنعه ؛ والناس إزاء هذا يتساءلون أن «شغل اليد» هو العمل الفني ، وأما صنع الآلة فهو عمل غير فني . وحجتهم في ذلك أن اليد تعمل بوحي الإنسان ، وتستمد حركتها من رأسه وعاطفته ، فالإنسان ينفض نفسه في كل وحدة من وحدات عمله الفني ، وأما الآلة فتستمد قوتها من محركات صماء

وللناس في تعزيز هذا الرأي ضروب من التمثيل . فهم يضربون المثل بالحلة المفصلة على قد إنسان بعينه ، فيرونها أليق بصاحبها ، وأدق صنعا وأوفر فنية ، من الحلل المجهزة على أقيسة عامة ... وكذلك الصورة الزيتية ، يرونها أروع من الصورة « الفوتغرافية » أو الصورة الطبعية الملونة ، فهذه آلية وتلك يدوية ... وكذلك الصوت لا يسحر السامع إذا سمعه من الحاكي أو المذياع ، قدر ما يسحره إذا سمعه من فم المغني نفسه

وأنت قد تجد في زخرف هذه الحجة التي يسوقها الناس مظهر الحق ، ولكنك إذا أنفذت بصرك إلى الأعماق تكشفت لك حقائق لا تبغي عنها حولا . فإن هذه الآلة التي نزري بها وجدت منذ وجد الإنسان ، منذ خرج من إطار الحيوانية الغافلة إلى مستوى البشرية المفكرة . وقليل من التدبر يقنعنا بأن الآلة هي العنصر الأساسي في بناء المدنيات منذ فجرها الأول ... ولعل ما نسميه « شغل اليد » لا وجود له بالمعنى الحقيق في تاريخ الإنسان . فالمغزل والمنسج والإبرة في أطوارها الأولى ليست إلا آلات بدائية . والمرقم للرسام والأزميل للمثال كلاهما آلة ، ولماذا نذهب بعيدا واليد نفسها ليست إلا آلة توسل بها الإنسان للقيام بعمل فني ؟

فهذه الوسائل والوسائط ، أو بتعبير آخر : هذه الآلات البدائية ، ظلت تقوم بالأعمال الفنية ، يسيطر عليها الرأس ، وتوحي إليها العاطفة ... ثم تطورت مع الإنسان آلاته ، تساير حاجاته ، وتواتيه بمطالبه ، حتى انتهى بها الأمر إلى هذا المظهر الآلي العجيب المعقد الذي بدأنا نخشاه..

أرأيت إذن أن تلك الآلة الحديثة ليست إلا امتدادا وتطورا للآلة القديمة التي عاصرت الإنسان منذ درج الإنسان ؟

دونك « الكتاب » مثلا ... ذلك الذي نحوطه بالتقديس ، ونعده ذخرا وموئلا للعلوم والفنون والآداب ، ونرى فيه مرآة العقل الإنساني ، والفكر البشري ، ومن ثم نخشى عليه أن تنال منه « الآلية » الحديثة التي تكمن في « الراديو » و « السينما » وما إليهما ، ونطلق صرخة الرعب والفزع ، طالبين حماية الكتاب من هذه الويلات ... بل إن فينا من يقول بأن ثقافة المستقبل سيتطرق إليها الوهن إذا ضعف شأن « الكتاب » وانتسخ ظله ، وأنه ليس من شيء يقوم مقامه ويعوضنا عنه ، وينهض بالعبء الذي نهض به

والحق في ذلك أن « الكتاب » ما هو إلا سجل يضم نتاج القرائح ، ويحوي عصارات الأذهان ، وما هو إلا مظهر للتعبير عن الإحساسات والمشاعر ... وقد كان هذا « الكتاب » يوم كان لوحا محفوظا في الذاكرة يتلقاه الأخلاف من الأسلاف ، وكان كذلك أحجارا وجلودا ولحاء شجر ، ثم كان بعد ذلك مخطوطا على الأوراق لا تزيد نسخه على العشرات . فلما جاء عصر الطباعة اتخذ « الكتاب » هذا الشكل الحديث ، وأتيح له ذلك التعميم ، فهو مدين للآلة بما بلغ من جاه عريض ، وصيت بعيد

وما دام « الكتاب » في حقيقة أمره وسيلة تعبير ، فلا ضير على المدنية الحديثة إذا اصطنعت لها وسيلة أكثر ملاءمة للتطور ، وأبعد مدى في تحقيق الغرض . ولن تكون الوسيلة المستحدثة إلا امتدادا « للكتاب » في مظهر آخر هو أقرب إلى روح العصر ، وأدعى إلى نشر الثقافة بين الناس ، وإذن فالآلة تخدم غرض « الكتاب » ، وإن كانت في الظاهر تخمل « الكتاب » . فهدف الآلة دائما هو التيسير ، هو أن تتيح للجمهور الأكبر ما هو متاح للخواص من استمتاع وانتفاع ، وكذلك تعمل الآلة على أن توفر من الجهد ، وتقتصد في الوقت ، ليستفاد بذلك في ميدان الابتكار والتجديد والتجويد

وإليك الغناء مثلا آخر ، فالمغني لا يملك إلا أن يسمع طائفة من الناس في زمن مخصوص ، وبذلك يقتصر الاستمتاع به على القليل ، ولكن الآلة تنهض بدورها في إشاعة هذا الصوت المحبب ، وفي تقريب مناله من الأسماع في كل زمان وفي كل مكان

وكذلك الشأن في التمثيل ، فالرواية التي تشهدها جمهرة لا تتجاوز بضع مئات ، بأجور مرتفعة لا تتيسر للكثير ، تستطيع « السينما » أن تبذلها للألوف بثمن بخس ، في قدرة على التنقل ، وفي حرية من الوقت ، وتمكن من التكرار ، وأمان من وطأة التكاليف

على أن الذين يسلمون بأن « السينما » تيسير للفن ، وتعميم له ، يتساءلون : أليس التيسير يسيء إلى الفن ؟

أو ليس تعميمه يدعو إلى تبسيطه ، والنزول به عن مستواه الرفيع ؟

والجواب عن هذا التساؤل يصدق على « السينما » كما يصدق على المذياع والكتاب . ولقد كان الكتاب وما يزال درجات ، فيه الرفيع الخاص ، وفيه المنخفض العام ... وما شأن « السينما » والاذاعة إلا كذلك ، يجب أن يكون فيهما لكل طالب حاجته ، ولكل مستوى ما يناسبه

والواقع أن تيسير الفن لا يحط من الفن ، بل أن هذا التيسير سبيل إلى أن يتذوق الشعب ما يقدم له من الأعمال الفنية ، فتتأثر بها نفسه ، ويرتفع مستواه ، ويصبح للفن عونا على النهوض والازدهار ...

والذين يأخذون على « السينما » أنها آلية ، ويؤثرون عليها المسرح لأنه غير آلي ، ينسون أن المسرح نفسه يتخذ من الآلات ما يعينه على بلوغ أغراضه ... فأنت إذا دخلت مسرحا من المسارح الراقية ألفيت نفسك في مصنع كبير تحتشد فيه عدد وآلات ، يستكمل بها المسرح عناصر

التمثيل ، ويتلافى ما فيه من نقص وعجز ، ويساير بها ما بلغ الفن من تقدم وتطور ، وقد يبعثك هذا الذى تراه على القول بأن هذه « السينما » لم تكن إلا عونا من الآلة على تحقيق أحلام فنية لم يستطع المسرح تحقيقها فى نطاقه الضيق ، ووسائله المحدودة

ولتجدن كثيرا من المتعصبين للمسرح يقولون :

حسبك من ميزة له على « السينما » أن عماده وجوهره هو الممثل الحى ، هو ذلك الذى تراه بشرا سويا حيالك ، تملأ منه عينك ، وترعيه سمعك ، فأما « السينما » فما هى إلا أخيلة وأطياف ، والفرق واضح بين حقيقة ماثلة ، وخيال موهوم !

والهاتفون « بالسينما » لا يعدمون ردا على المتعصبين للمسرح بهذه الحجة ، فهم يقولون بأن فنية التمثيل لا تزيد فيها واقعية المسرح ، ولا تنقص منها خيالية « السينما » .. إذ المعول كله على الإجادة والإتقان ، حتى يتيسر بذلك اندماج المتفرج فى العمل الفنى المعروض ، فإذا هو يستجيب لما يسمعه وما يراه

واعتبر ذلك بالغناء ، فإن الأغنية الرائعة هى التى لا تكاد تهز أوتار سمعك حتى تهتز أوتار قلبك ، فإذا أنت تفنى فيها ، وتحلق معها ، وذلك هو جوهر الإمتاع بالسماع ، فأما الأغنية التافهة فهى التى لا تتجاوز الآذان هى التى تضل الطريق إلى مشاعرك ، فلا استجابة بينك وبينها ولا اندماج

وكذلك الشأن فى التمثيل ، فهو يقوم فى جودته وإتقانه على أن ينسلخ المتفرج مما حوله ، ويمضى فى مساق القصة المعروضة ، يعايش أجواءها ، ويباشر أشخاصها ، ويشاركهم مايزاولون من تجربة إنسانية صادقة غيرمكذوب بها على الحياة

وربما تلقف أنصار « السينما » هذا القول بالتعويل على فنية التمثيل ، فاتخذوا منه حجة للفن السينمائى . قائلين : إن المسرح فن ناقص ، إذ يشعرك فى كثير من ظواهره بأنك أمام أخشاب ملونة ، وأوراق مقواة ، ومناظر ملفقة سرعان ما تصدمك ، فتعيد إليك وعيك ، وتحول بينك وبين الاندماج فيما تحاول تمثيله من واقع الحياة . وأن مناظر البحار والأنهار ، وتمثيل الغرق والحريق ، وتصوير البواخر والقطارات والطائرات ، لتخفق الإخفاق كله على منصة المسرح ، بل أنها لتبعث على الهزؤ والسخرية ... ومن ثم لجأ المسرح الحديث إلى الرمز يستعين به على التأثير ويعالج به أن يوحى إلى الأذهان بالجو المنشود فى القصة المبسوطة . ولكن « السينما » بمنجاة من ذلك النقص ، فالوسائل فيها أقوى على تصوير الواقع ، وتمثيل الحقيقة ، إذ أنها تنقل المشاهد والمواقف ، بحيث لا يشك ناظر إليها فى أنها قطعة من الحياة لازيف فيها ولانشوز ولااستكراه ، وبذلك يبلغ الفن السينمائى ذروته فى ضمان التأثير ، وفى تنويم الوعى ، وفى تيسير الاندماج بين النظارة والتمثيل

ومما يثيره أنصار المسرح فى مجال الموازنة بينه وبين « السينما » أن الممثل المسرحى يشعر بشخصيته كاملة يعبر عنها يوما بعد يوم فى طلاقة وتجدد . فإنه فى الرواية الواحدة يستطيع أن يتشكل ويتطور فى أدائه لدوره ، كلما مضى فى تمثيله مرة بعد مرة . وفى هذا التشكل والتطور تتوهج شخصية الفنان وتتألق

على أن أنصار « السينما » يرون ذلك حجة على المسرح لا حجة له ، إذ أن العبرة فى أداء العمل الفنى بإجادته وبلوغ أعلى درجاته . والممثل الذى لا يتقيد فى أداء دوره كلما أعاد تمثيله هو الممثل الذى يعلو مرة ويهبط أخرى ، والمتفرجون فى هذا هم المظلومون ، إذ تتفاوت حظوظهم فى مشاهدة الرواية الواحدة للممثل الواحد . فمنهم من يرى الممثل فى الذروة ، ومنهم من يراه فى الحضيض . فأما فى « السينما » فالمتفرجون جميعا يرون الممثل دائما فى درجة اتقانه القصوى ، تلك الدرجة التى سجلتها له « الكاميرا »

وهو في أحسن حالاته . ومثل هذا يقال في الغناء ، فإن المغني يظل يمارس تجاربه حتى يستوفي ، ثم يسجل صوته وهو في أوج اكتماله وازدهاره

وفي مناسبة هذا الحديث عن الغناء يقول المعترضون على « السينما » إنها لا تنقل إليك صوت المغني على طبيعته وإنما تنقل إليك صوتاً آخر يقرب أو يبعد عن ذلك الصوت الطبيعي ، فإذا سمعت المغني عينه ، وسمعت صوته مسجلاً من بعد ، أدركت الفرق واضحاً كل الوضوح ، وربما كان ذلك الصوت المسجل خيراً من الصوت على طبيعته ، ولكنه على أية حال تزييف وتبديل

والذين ينتصرون « للسينما » يجيبون عن هذا بأن الأمر لا يعدو إحدى اثنتين ، فإما أن يكون العيب عيب الآلات التي لم تبلغ حد الكمال حتى اليوم في نقل الأصوات ولا ريب أنها بالغته بفضل ما يجري فيها من تحسين وإتقان حتى تؤدي كل صوت على حقيقته . وإما أن هذا التغيير الذي نلحظه في نقل الأصوات تغيير مقصود ، يراد به معالجة ما عسى أن يكون في صوت المغني من قصور . فالآلة السينمائية تهدف إلى أن تقدم الأصوات قوية صافية مصقولة ، فهي تحتفظ بجوهر الصوت ، ولكنها تعالج ضعفه ، حتى تصل به إلى الغاية الفنية الموجودة

وإذا كان الفن الرفيع هو الفن الصادق في نقل الحياة فلا ينال من رفعة الفن أن يعمل على تجميل ما ينقله من ظواهر الحياة ، ووفقاً لهذا نبتت فكرة المناظر السينمائية الملونة ، فذلك تجميل للمناظر الطبيعية يكفل الخلابة وحسن التأثير

ومما يعاب على «السينما» ما يسمى «الفوتوجنيك» أي القابلية للتصوير السينمائي ، فلقد يظفر وجه بإعجاب « الكاميرا » فتسجله رائعاً يسحر الأعين ... ولقد تغضب « الكاميرا » على وجه ، فلا تبدو فيه وسامة ولا فتون . ومن أعجب العجب أن تسيطر على هذا هذا المنح والحرمان آلة صماء !

والعيب في ذلك أنه يحد من المواهب الفنية التي تتوافر لوجوه لا توهب منحة « الفوتوجنيك » وإن كانت هذه الوجوه في حقيقتها وافية الملاحة والجمال ؛ موفورة الحظ من حسن التقويم

والرد على هذا عند من ينتصر « للسينما » أن العصر الحاضر يركن إلى المخترعات الدقيقة الحساسة يستجلي بها الدقائق ... وفي مجالات العلوم والفنون والآداب تتخذ آلات خاصة للكشف عن الحقائق المستورة التي لا تنالها الأعين ولا تدركها الأفهام . وقد بات واضحاً أن هذه الحواس الخمس المعرفة لم تعد كافية في استجلاء الأشياء ، والحكم على جوهرها الأصيل ، وما الجمال إلا حقيقة من حقائق الحياة الكبرى ، فلا ضير علينا إن استعنا بالآلات البصيرة الكاشفة لاكتناه أسرار الجمال . ولعل هذه «الكاميرا» أنفذ بصراً بما يكمن من الفاتن ، وما يدق من القسمات ، فهي تكشف لنا عنها ، وتقرب منالها من العيون

ومهما يكن من قول يساق لنصرة «السينما» أو للدفاع عن المسرح ، فلا أثر لذلك كله في حكم الزمن وطابع العصر . فما أشبه أحكام الأزمنة وطوابع العصور بأقدار تجري ، لا يملك ردها أحد !

ومما لا مرية فيه أن « السينما » ماضية في طريقها ، تحمل راية عصر الآلة الذي نعيش فيه ، ولا منجاة لنا منه بشقشقة الألسن ومنطق العقول

فإذا شاء عشاق المسرح ، الأوفياء لعهده ، أن يخدموه وأن يطيلوا من عمره ، وأن يفسحوا له الميدان الفني يؤدي فيه رسالته ، فلا سبيل لهم إلا أن ينأوا بالمسرح قدر ما يستطيعون عن المجال الحيوي «للسينما» ، حتى لا ينافسها في نطاق عملها الذي تؤديه في قوة وجبروت . وكلما عملنا على أن نجعل لكل فن مجالاً خاصاً به ، وأمضينا كل فن في طريقه ؛ كان لنا أن نأمن مغبة التنازع والاضطراب

وقد نشأت « السينما » في عهدها الأول صامتة ،

فتركت للمسرح روعة الحوار ، وأنس الحديث ، واختصت بسرعة الحركة والإشارة ، والوفاء بالمشاهد والمناظر ، فكان « للسينما » فن خاص بها ، وللمسرح فن خاص به … فأما الآن وقد نطقت « السينما » وغلبت المسرح على أمره فيما كان من خاصة شأنه فقد وجب أن ننحو بالمسرح نحوا جديدا يجنبه عنف ذلك الفن الآلي القادر فنخص المسرح بموضوعات تخلو من عناصر الموضوعات السينمائية التي تعتمد على سرعة الحركة ، وكثرة الأشخاص ، ووفرة المواقف والمناظر ، وفخامة الملابس والأشياء المعروضة … ولتكن مناظر المسرح ومواقفه وملابسه أقرب شيء إلى الرمز حتى لا ينافس « السينما » في مجال هي صاحبة الغلبة فيه على أية حال

وعلينا أخيراً أن نؤمن بأن المسرح ليس إلا مظهراً للفن ، وأن الفن جوهر يتطور مظهره ويتغير ؛ فهو بالأمس مسرح ، وهو اليوم «سينما» وقد يكون في الغد القريب أو البعيد شيئاً غير «السينما» . وغير المسرح جميعاً … فلنكفكف من غلوائنا في تقدير المظاهر ، مادام الفن في جوهره بخير

محمود تيمور

شعراء الوطنية

٣ – البارودي

(١٨٤٠ – ١٩٠٤)

للأستاذ عبد الرحمن الرافعي

محمود سامي البارودي هو إمام الشعراء المحدثين قاطبة ، وباكورة الأعلام في دولة الشعر الحديث ، وأول من نهض به وجارى في نظمه فحول الشعراء المتقدمين ؛ فبعث النهضة الشعرية من مرقدها بعد طول الخمود

كانت نشأته علمية حربية . تخرج من المدرسة الحربية وبدت عليه سليقته الشعرية وهو بعد في عهد التلمذة . وانتظم بعد تخرجه في سلك المناصب المدنية ثم العسكرية وخاض غمار الحروب في ثورة كريد سنة ١٨٦٦ . وفي الحرب بين تركيا والروسيا سنة ١٨٧٧ ، فصقلت المعارك مواهبه الشعرية

وكان من زعماء الثورة العرابية . وتولى رآسة وزارة الثورة سنة ١٨٨٢ . ثم كانت الهزيمة . ونفي مع زملائه إلى جزيرة سيلان (سرنديب) وظل في منفاه نيفاً وسبعة عشر عاماً . وأسبغ عليه النفي سمات التضحية والبطولة .

الحنين إلى الوطن

كانت حياة الزعماء في منفاهم حياة ألم وحزن . إذ انقطعت صلتهم بالناس . وطال اغترابهم عن أرض الوطن ، وبعدت الشقة بينهم وبين أهليهم ومواطنيهم . ولم يكترث لهم أحد . ولم يعطف عليهم أحد (والناس مع الغالب !) وجادت قريحة البارودي بشعر مؤثر في الحنين إلى الوطن . والحزن على فراقه ، مما يعد آية في البلاغة . وبلغت سليقته الشعرية في منفاه ذروة العظمة والجلال

قال يصف الرحيل عن أرض الوطن :

محا البين ما أبقت عيون المها مني
فشبت ولم أقض اللبانة من سني
عناء ويأس واشتياق وغربة
ألا شد ما ألقاه في الدهر من غبن

إلى أن قال :

ولما وقفنا للوداع وأسبلت مدامعنا فوق الترائب كالمزن
أهبت بصبري أن يعود فعزني وناديت حلمي أن يثوب فلم يغن
وما هي إلا خطوة ثم أقلعت
بنا عن شطوط الحي أجنحة السفن

فكم مهجة من زفرة الشوق فى لظى
وكم مقلة من غزرة الدمع فى دجن
وما كنت جربت النوى قبل هذه
فلما دهتنى كدت أقضى من الحزن
ولكننى راجعت حلمى وردنى
إلى الحزم رأى لا يحوم على أفن
ولولا بنيات وشيب عواطل
لما قرعت نفسى على فائت سنى

الصبر على الشدائد

وتجلت فى منفاه صفاته العالية من الشمم وعلو النفس واحتمل آلام النفى بشجاعة وإباء . وصبر وإيمان . وله فى ذلك شعر يفيض بهذه المعانى السامية

قال وهو فى سرنديب (سيلان) :

لم اقترف زلة تقضى على بما   أصبحت فيه فماذا الويل والحرب
فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى
ذنب أدان به ظلما واغترب ؟
فلا يظن بى الحساد مندمة
فإننى صابر فى الله محتسب
أثريت مجدا فلم أعبأ بما سلبت
أيدى الحوادث منى فهو مكتسب
لا يخفض البؤس نفسا وهى عالية
ولا يشيد بذكر الخامل النشب (١)

وقال مشيرا إلى مصادرة أملاكه :

يا ناصر الحق على الباطل   خذ لى بحق من يدى ماطلى
أخرجنى عما حوته يدى   من كسبى الحر بلا نائل (٢)
من غير ما ذنب سوى منطق   ذى رونق كالصارم القاطل (٣)
فإن أكن جردت من ثروتى
فقضل ربى حلية العاطل

(١) النشب المال والعقار   (٢) النائل الشئ القليل
(٣) القاطل القاطع

وقال من قصيدة أخرى فى مقاومة الظلم والصمود أمام المحن والخطوب :

إذا المرء لم يدفع يد الجور أن سطت
عليه فلا يأسف إذا ضاع مجده
ومن ذل خوف الموت كانت حياته
أضر عليه من حمام يؤده
وأقتل داء رؤية العين ظالما
يسئ ويتلى فى المحافل حمده
علام يعيش المرء فى الدهر خاملا
أيفرح فى الدنيا بيوم يعده ؟
عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعش
بها بطلا يحمى الحقيقة شده

ومن قوله فى الحنين إلى الوطن والصبر على الشدائد :

فيادموع القطر سيلى دما   ويا بنات الأيك نوحى معى
وأنت يا نسمة (وادى) الغضا
مرى برياك على مربعى
وأنت يا عصفورة المنحنى   بالله غنى طربا واسجعى
وأنت يا عين إذا لم تفى   بذمة الدمع فلا تهجعى
أبيت أرعى النجم فى سدفة   ضل بها الصبح فلم يطلع
فهل إلى الأشواق من غاية   أم هل إلى الأوطان من مرجع
لا تأس يا قلب على ما مضى
لا بد للمحنة من مقطع

تمنى أن يرى مصر

وقال فى منفاه يتمنى أن يرى مصر :

يا حبذا جرعة من ماء محنية
وضجعة فوق برد الرمل بالقاع
ونسمة كشميم الخلد قد حملت
ريا الأزاهر من ميث وأجراع (٤)

(٤) الميث جمع ميثاء الأرض اللينة

يا هل أرانى بذاك الحى مجتمعا
بأهل ودى من قومى وأشياعى ؟

وقال فى هذا المعنى :

أبيت حزينا فى (سرنديب) ساهرا
طوال الليالى والخليون هجد
إذا خطرت من نحو (حلوان) نسمة
نزت بين قلبى شعلة تتوقد
شباب وأخوان رزئت ودادهم
وكل امرئ فى الدهر يشقى ويسعد

وقال أيضا فى منفاه :

ردوا على الصبا من عصرى الخالى
وهل يعود سواد اللمة البالى ؟
ماض من العيش مالاحت مخايله
فى صفحة الفكر إلا هاج بلبالى
أدهى المصائب غدر قبله ثقة   وأقبح الظلم صد بعد إقبال
لاعيب فى سوى حرية ملكت   أعنتى عن قبول الذل بالمال
قلبى سليم ونفسى حرة ويدى   مأمونة ولسانى غير ختال
بلوت دهرى فما أحمدت سيرته   فى سابق من لياليه ولا تالى
حلبت شطريه من يسر ومعسرة
وذقت طعميه من خصب وإمحال
لم يبق لى أرب فى الدهر أطلبه   إلا صحابة حر صادق الخال
وأين أدرك ما أبغيه من وطر
والصدق فى الدهر أعيا كل محتال
لا فى (سرنديب) لى إلف أجاذبه
فضل الحديث ولا خل فيرعى لى
أبيت منفردا فى رأس شاهقة   مثل القطامى فوق المربأ العالى
إذا تلفت لم أبصر سوى صور   فى الذهن يرسمها نقاش آمالى
علام اجزع والأيام تشهد لى
بصدق ما كان من وسمى وأعفالى
راجعت فهرس آثارى فما لمحت
بصيرتى فيه ما يزرى بأعمالى
فكيف ينكر قومى فضل بادرتى
وقد سرت حكمى فيهم وأمثالى
أنا ابن قولى وحسبى فى الفخار به
وإن غدوت كريم العم والخال
ولى من الشعر آيات مفصلة   تلوح فى وجنة الأيام كالخال
ينسى لها الفاقد المحزون لوعته   ويهتدى بسناها كل قوال
فانظر لقولى تجد نفسى مصورة
فى صفحتيه فقولى خط تمثالى
ولا تغرنك فى الدنيا مشاكلة   بين الأنام فليس النبع كالضال
إن ابن آدم لولا عقله شبح   مركب من عظام ذات أوصال

ومن قصيدة له يتشوق إلى مصر .

خليلى هذا الشوق لا شك قاتلى
فميلا إلى (المقياس) إن خفتما فقدى
فنى ذلك (الوادى) الذى أنبت الهوى
شفائى من سقمى وبرئى من وجدى

وقال فى هذا المعنى :

طال شوقى إلى الديار ولكن
أين من (مصر) من أقام (بكندى)[1]
حبذا (النيل) حين يجرى فيبدى
رونق السيف واهتزاز الفرند
تتثنى الغصون فى حافتيه
كالعذارى يسحبن وشى الفرند
قلدتها يد الغمام عقودا   هى أبهى من كل عقد وبند
كيف لا تهتف الحمام عليه   وهى تسقى به سلافة قند
كلما صورته نفسى لعينى   قدح الشوق فى الفؤاد بزند

وإلى العدد القادم حيث أتم الحديث عن البارودى وشعره الوطنى

(١) كندى مدينة صغيرة فى جزيرة سيلان (سرنديب)

عبد الرحمن الرافعى

فى سنن الله فى الاجتماع

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

الإسلام دين الفطرة . بذلك شهد الله سبحانه إذ يقول فى سورة الروم (فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم) فأحكام الإسلام إن هى إلا تطبيق محكم من الله للسنن التى فطر الله عليها الناس فى الاجتماع

والناس فى اجتماعياتهم لم يهتدوا بعد إلى قوانين الفطرة وإنما يحدسون ويظنون . فنجاحهم فى الكشف عن سنن الفطرة فى المادة لا يعادله إلا فشلهم فى الكشف عن سنن الفطرة فى الروح ، روح الفرد وروح الجماعة . وهم أنجح فى تفهم روح الفرد فى علم النفس منهم فى تفهم روح الجماعة فى علوم الاجتماع . وآية ذلك الاختلاف السائد فى هذه العلوم فى حين أن لا اختلاف هناك فى العلوم الطبيعية ، علوم المادة والطاقة ، لا فى قوانينها ولا فى وقائعها وإن كان هناك طبعا اختلاف فى الفروض والنظريات المتعلقة بما لا يزال منها قيد البحث والنظر والتمحيص . فعلوم الاجتماع فى كثرة اختلافها وقلة اتفاقها تشبه العلوم الطبيعية فى جزئها المجهول وما تعلق به من فروض ، أى أنها لا تزال فى دور التكوين ، دور الحدس والتخمين

ودور الحدس والتخمين دور ضرورى يمر به كل علم فى بحث ظواهره قبل أن يصل فيها إلى يقين . لكن علوم الاجتماع يعوزها ما ليس يعوز العلوم الطبيعية من معيار يفصل به بين الحق والباطل ، ويميز به بين الخطأ والصواب . فالعلوم الطبيعية تحتكم إلى التجربة العلمية فى الفصل بين الفروض المختلفة التى يؤتى بها لتفسير الظاهرة الواحدة ، أى تحتكم فى الواقع إلى الفطرة نفسها التى تجيب دائما نفس الجواب عن نفس السؤال كلما أحسن العلم الطبيعى توجيهه . وهذا إن هو إلا مظهر لاطراد الفطرة فى سننها ، ونتيجة لازمة لذلك الاطراد . لكن العلوم الاجتماعية لا تملك ما يملك العلم الطبيعى من التجربة العلمية التى يتحكم العالم فى إجرائها بالصورة التى يرى أنها أدنى أن تؤدى إلى الكشف عن الحق فى موضوعها . صحيح أن علماء الاجتماع يستعينون أيضا بنوع من المشاهدة ، ولولا ذلك ما كانت هناك علوم اجتماعية قط . لكن شتان بين المشاهدتين: بين مشاهدة يكيفها ويضبط ظروفها المشاهد كما فى العلم الطبيعى ، وبين مشاهدة لا يكاد يكون هناك سبيل إلى التحكم فيها أو ضبط ظروفها وتكييفها كما فى العلم الاجتماعى . وهذا الفرق الأساسى هو سبب نهوض العلوم الطبيعية ، وقعود العلوم الاجتماعية عن أن تبلغ من الدقة والإصابة المبلغ الذى يليق

هذه النتيجة ليست راجعة إلى فضل فريق من العلماء على فريق ، وإنما ترجع إلى طبيعة الموضوع فى كل علم . فموضوع العلم الطبيعى هو المادة والطاقة والحياة فى غير الإنسان . وما نفقد أو نخسر من ذلك أثناء التجارب لا يكاد يهم لأنه يمكن تعويضه . كلما تلفت أثناء التجربة الفاشلة كمية من المادة مثلا أعدنا التجربة بكمية جديدة فى ظروف جديدة حتى نهتدى إلى ما نريد . لكن مادة العلم الاجتماعى هى الإنسان متفرقا أفرادا أو مجتمعا بطونا وشعوبا . ومن المحظور أن تعرض الفرد أو الجماعة إلى تجربة تؤدى إلى التلف أو حتى إلى ضرر ملحوظ ، بل نفس احتمال الضرر فى التجربة يكفى لمنعها وتحريمها قانونا . فليس أمام العالم الاجتماعى إلا أن يشاهد ما يجرى فى حياة الجماعات من غير أن يكون له سلطان على تكييف ظروف الحياة تكييفا يصل من خلاله إلى ما يريد من اختبار فرض أو اختيار الأرجح من رأيين والأصح من نظريتين . وهذا معناه أن سيطول الأمد على العلم الاجتماعى أو الفلسفة

عموما قبل أن يصل أو تصل إلى إثبات سنة من سنن الفطرة فى الاجتماع كما قد وصل العلم الطبيعى إلى إثبات الكثير من سنن الفطرة فيما هو موضوعه من مادة الكون عدا الإنسان من حيث هو إنسان

وعجز العلم الاجتماعى عن الوصول إلى الحق ، مهما تكن أسباب ذلك العجز ، لن يقى أحدا من عواقب الخطأ أو التخبط فى الحياه الاجتماعية نتيجة لجهل سنن الله التى طبع عليها الفطرة فى الاجتماع . فليس ميدان الروح والحياة الإنسانية بأقل خضوعا لنواميس الفطرة من ميدان المادة والطاقة ، وليست نواميس الفطرة فى ناحيتها الإنسانية الاجتماعية بأقل دقة وصرامة من نواميس الفطرة فى ناحيتها المادية وإن خفى ذلك على الأكثر الأغلب من الناس . فالفطرة فى حقيقتها كل شامل متصل وإن جزأه الإنسان ميادين وعلوما متباينة لعجزه عن دراسة الفطرة دفعة واحدة . إن الإنسان مضطر إلى التحليل أولا ليتوصل بعد إلى التركيب ؛ مضطر إلى دراسة الجزء قبل أن يستطيع إدراك الكل فى أمر من الأمور . فإذا قدر للانسان فى علومه المختلفة أن يحيط بالفطرة أجزاء منفصلة فسوف يستطيع إذا اهتدى إلى فلسفة غير فلسفته الحاضرة أن يبصر الطريق إلى ضم بعض تلك الأجزاء ، على تباينها ، إلى بعض ضما يجعل منها كلا متصلا تتجلى فيه الفطرة وحدة موحدة يجلوها علم عام جامع لشتات العلوم كلها هو علم الفطرة . عندئذ يرى الإنسان أن سنن الله فى الكون واحدة فى اطرادها وتناسقها ، وفى دقتها وصرامتها ، لا سبيل إلى تغييرها ولا إلا لإفلات من عواقب مخالفتها سواء فى ذلك ناحية المادة والطاقة منها وناحية النفس والروح فى الأفراد والجماعات

ومهما عذر الناس فى جهل أن الفطرة وحدة واحدة فى طبيعياتها واجتماعياتها فالمسلمون من بينهم لا عذر لهم ؛ لأن كتاب الله فاطر الفطرة قائم بينهم يخبرهم من ذلك عما جهلته الفلسفة ولم يدركه العلم ، فى آيات هى فى أيدى المسلمين وا أسفاه كالمصابيح فى أيدى العميان ، من نحو

قوله تعالى من سورة تبارك (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) ومن سورة فاطر (فهل ينظرون إلا سنة الأولين ! فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)

والعجيب أن هذه الآية الكريمة وأمثالها فى القرآن لم تنزل فى سنن الله فى المادة وإنما نزلت فى سنن الله فى الاجتماع لتنذر الناس عواقب كفرهم إن كفروا بالدين الذى هو دين الفطرة ، وليبين لهم أن لله فى هذه الناحية سننا لا تتخلف جرت فى الأولين بالإهلاك حين عصوا واتبعوا أهواءهم ، وهى جارية لا شك فى الآخرين إن هم عصوا أيضا وخرجوا عن سننه سبحانه التى فطر عليها الناس ، سواء أكان خروجهم ومخالفتهم عن جهل أم عن عناد

ولقد بين الله سبحانه هذه الحقيقة فى كتابه الكريم بشتى صور البيان . فتارة يجمل كما فى نحو قوله تعالى من سورة الحج (وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير . فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها) . وتارة يفصل ثم يدل على موضع الحجة والعبرة فى التفصيل كما تجد فى سورة القمر مثلا إذ قص سبحانه ماجر التكذيب بسننه ورسله على قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون ، حتى إذا بين سبحانه من ذلك ما شاء تفصيله التفت إلى كفار قريش مخاطبا بقوله (أكفاركم خير من أولئكم ؟) فدل بذلك على أن سنته فى الكافرين المكذبين بكتبه ورسله سنة عامة لا استثناء لها ولا منجى منها إلا بالإيمان والعمل بالدين الذى تتمثل فيه قوانين الدين فى الفطرة ، وتتضمن أحكامه التطبيق المحكم لسننه سبحانه فى الاجتماع ؛ تلك السنن التى علم الله أن السبيل إليها وإلى تطبيقها غير ميسور للناس على الزمن ولا مضمون خلافا لسننه سبحانه فى المادة والطاقة وما إليهما فأمرهم أن يطلبوا هذه بأنفسهم ومن عليهم

بتلك مطبقة محكمة فى أحكام الإسلام

ونحن اليوم نرى صدق عموم تلك السنن رأى العين فيما حاق بمخالفيها فى الغرب وفى الشرق ؛ فالغرب قد نال من العلم الطبيعى عن طريق البحث التجريبى مانال حتى ظن أنه قد ملك الأرض يفعل فيها ما يريد غير مراقب فى الناس إلا ولا ذمة ، ولا مراع فى اجتماعياته شرعا لله ولا سنة . فإذا بنفس علوم المادة تنقلب عليه نقمة ، وإذا بأمواله تتحول بتلك العلوم مناجل وقنابل تحصد أهله ، وتمزق شمله ، وتترك دياره العامرة بلاقع ومدنه الزاخرة حطاما (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ، إن أخذه أليم شديد) وسيان أن يهلك العاصون لله وسننه بحجارة من سجيل يطرونها على أيدى الملائكة ، أو بقنابل ذرية وغير ذرية يطرونها على أيدى أمثالهم من الناس مصداقا لقوله تعالى (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون)

ومن عجب أن الغرب لاقى ببغيه ومعصيته حربين هائلتين أنسته أولاهما حروب التاريخ ، وأنسته أخراهما أهوال الأولى ، وكان فى كل منهما يبكى ويستبكى ، ويدعو ويتضرع ، ويعد ويمنى ؛ حتى إذا خرج من الأولى نسى ما عاهد عليه الله، ونقض ما عاهد عليه الناس فأذاقه الله بالثانية لباس الجوع والخوف فلم يعتبر ولم يرتدع ورجع إلى بغيه الذى ألف كما تشهد أعماله فى مصر وفلسطين ، وفى المغرب الأقصى وإيران وفى كينيا وكوريا وما إليهما . فلم يبق إذن إلا الثالثة تأتيه فلا تبقى منه ولا تذر . وأنى له أن يتجنبها وهو ينحدر إلى هاويتها بالاستعداد لها — زعم — كالمنزلق من جبل لا يستطيع إلا أن يزداد انزلاقا حتى يهلك . فكان الغرب فى ماضيه وحاضره مثلا آخر مرعبا مؤسفا للمكذب المغتر الظالم لنفسه ولغيره ؛ فهو يوشك أن تحق عليه كلمة الله فيلقى ما لاقاه قوم قال الله فيهم (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين . فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين)

وأعجب من أمر الغرب أمر هذا الشرق الإسلامى الذى لا يزال يتخذ الغرب فى اجتماعياته إماما ، كأن فشلها وخطلها لم يثبت بما أشاعت فى الغرب من فرقة وبغض ، وما جرت عليه من ويل وحرب . أوكأن هذا الشرق ليس بيده نور الله يهديه ودين الله يعتصم به . فلئن لم يتدبر قوله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) وقوله سبحانه (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) فيسمع لأول كل منهما ويطيع ، ليوشكن أن يحق عليه سائرهما ؛ فإن رأس سنن الله أن يطاع ، وأن من لا يطيع يهلك . وسنن الله لا تتخلف كما يشهد به العلم فى المادة ، وكما يشهد به القرآن فى الاجتماع

محمد أحمد الغمراوى

الشهيد الأعزل ..!

للأستاذ محمد عبد الله السمان

« سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى امام جائر فأمره ونهاه .. فقتله » حديث شريف

إن الأسبوع الثانى من شهر فبراير من كل عام ، ليحمل فى طياته ذكرى هى من أجل الذكريات لدى الشبيبة المسلمة ، والقلوب المؤمنة — لا فى مصر وحدها — بل فى كل بقعة أشرقت بنور الإسلام ، وفى كل رقعة سلطت عليها شعاعات التوحيد.

أما الذكرى ، فهى ذكرى الشهيد الأعزل « حسن البنا » ، والحديث عن « حسن البنا » يعتبر جديدا فى موضوعه ، مهما طال ، ومهما تكرر ، إذ ليست شخصيته بالشخصية العادية التى يكفيها من الحديث أقله ، فقد كان « حسن البنا » ملء السمع والبصر ، دوى صوته فى الشرق ، فاهتزت جوانبه مؤذنة ببعث جديد ، ومعلنة ميلاد فجر مشرق ، ومنذرة بالرحيل استعمارا بغيضا أصر على الخلود بين أرجاء الشرق ، ليتخذ منه مطية ذلولا ، وبقرة حلوبا ، وضيعة نائمة لا صاحب لها ، ولا حارس عليها ، ولا مسئول عنها ، ودوى صوته فى المسلمين فأيقظهم من سباتهم ، وأزاح عنهم كابوس الدعة ، وهيأهم ليليقوا بالإسلام فى عزته ورقيه وعظمته

ظل « حسن البنا » زهاء عشرين عاما يدعو إلى الله وحده ، ويصيح من أعماق قلبه : الله غايتنا .. وتردد وراءه الألوف المؤلفة من الشباب المصوغ فى بوانق من الإيمان بالله والثقة به ، وظل زهاء عشرين عاما ، يدعو إلى الإسلام المصفى .. الإسلام الذى يشيد بالعزة والمنعة والقوة ، وينفر من الذلة والضعف والمسكنة.. الإسلام المرن السمح ، الذى لا ثقل فيه ولا تعقيد ، ولا جمود ولا تزمت ، الإسلام الخالص من شوائب الجهلة من الحق ، والأنذال من المرتزقة ..

وظل « حسن البنا » زهاء عشرين عاما ، يكافح الاستعمار فى مصر والشام وجزيرة العرب ، والمغرب وجنوبى أفريقيا وجزائر الهند الشرقية وغيرها ، فلم يخمد له صوت ، ولم تفتر له همة ، ولم يهن له عزم ، ولم تتزعزع له عقيدة ، ويكافح الحكم الإقطاعى القائم على استغلال الحكم ، كمورد للثروة ، ومصنع للجاه ، ومرتع قذر للرشوة والمحسوبية ، ويكافح ضعف الشعوب المغلوبة على أمرها ، حتى تعرف قدر نفسها ، وتؤمن بحقها على الحكومات الإقطاعية المسلطة عليها ، لتذيقها ألوانا من العنت والتعسف والإرهاق !

وظل « حسن البنا » زهاء عشرين عاما ، يكافح من أجل الشباب حتى أنتشله من حضيض التدهور والتفكك والإنحلال ، وخلصه من مواخير العربدة والاستهتار والمجون ، وغذاه بالمثل العليا والمعانى الحية ، وصبه فى بوانق من الشرف والإباء والطموح ، وأعده إعدادا كاملا للكفاح من أجل الإسلام القابع فى زوايا الإهمال ، وأوطانه الرازحة تحت أعباء الاستعمار والاحتلال ، وتجلت قيمة هذا الشباب فوق تربة فلسطين الذبيحة ، وأرض القنال يوم معركة القنال ...

كانت كلمة « حسن البنا » شبحا هو مصدر قلق للديمقراطيــة الفاجرة فى انجلترا وفرنسا وبلاد العم سام ، ومصدر قلق للشيوعية المضللة فى الصين الشيوعية وروسيا الحمراء ، كما كانت مصدر فزع للعروش الاستبدادية ، ولذا كانت المؤامرة على دعوة الشهيد الأعزل ثلاثية ، الديمقراطية بالإيعاز والإيحاء ، والشيوعية بالدس والوقيعة ، والديكتاتورية الممثلة فى العروش الطاغية بتنفيذ المؤامرة ، مستعينة بالحكومات الهزيلة التى لم تكن تملك من أمرها شيئا ،

ولم نكن نستطيع أن نكون فى حكمها أكثر من أداة مسخرة حمقاء!

ولقد قامت مصر بدور البطل فى المؤامرة على الدعوة الإسلامية، ولم يكفها أنها بدأت بالضربة الأولى، بل إنها أخذت على عاتقها أن تريح الاستعمار الممثل فى الديمقراطية الفاجرة، والفوضى الممثلة فى الشيوعية المضللة، والديكتاتورية الممثلة فى العروش المستبدة — أخذت على عاتقها أن تريح هؤلاء جميعا من « حسن البنا » ولتقدم بعدئذ رأسه قربانا للصبي العربيد « فاروق » فى عيد ميلاده، ولتضيع دماء « حسن البنا » الشهيد الأعزل هدرا، فى غوغاء الاحتفالات، وضوضاء المهرجانات، وزحمة السرادقات التى كانت تملأ شوارع القاهرة، حفاوة بعيد ميلاد الجالس على العرش، الصبي المدلل، والمعتوه المقدس، والملك الخليع الذى ورث عرش مصر عن ورع وأمون!

وبينما كانت المارة تسمع أزيز دماء الشهيد وهى تنزف فى شارع الملكة، كانت الشياطين تصغى لجوانب القصر « الخرب » تماوج لهوا وفجورا وعبثا، لتقدم فروض الولاء والتهنئة للصبي المخلوع ...!

لقد قتل « الشهيد الأعزل » غيلة وغدرا، وظن الصبي الفاجر أن ملكه أقوى وأعز وأمنع من أن تتسرب إليه الشبهات، ولم يكن يدرى أن البقية الباقية من الشبيبة المؤمنة خارج القضبان، كانت تعد منشورات بعد ساعات من استشهاد الشهيد الأعزل، جاء فيها « لقد قتل حسن البنا، وعرف القاتل، ولكن يدا خبيثة تحميه، ويد الله أقوى منها، ستصل إليه وترديه والله أكبر ولله الحمد »، وظن القتلة السفاكون أنهم سيظلون فى حصن منيع، وفى أمن من قبضة القضاء، وأيقنا نحن بأن عين الله لم تنم، وعدالة السماء لم تغفل، والقصاص آت لا ريب فيه ..

ومرت سنون أربع، فإذا الملك المخلوع يحتفل بعيد ميلاده فى منفاه على موائد الميسر والخمر، وبين أحضان الغانيات والساقطات، وإذا مصر تحتفل بعيد التحرر من سلطان فاجر أبى إلا أن يتربع على عرش من العربدة والفسق والفجور، وحوله شرذمة من الأفاقين، وإذا بالسفاكين المجرمين فى قبضة العدالة، وفى انتظار القصاص العادل، الذى أدخرته السماء لمصر حتى تطمئن أرضها، وإذا بالدعوة الإسلامية بخير تؤدى رسالتها، وتقطع منهاجها الذى رسمته لنفسها، وإذا بالقلوب المسلمة فى مصر والشرق، لا تكاد تذكر مأساة الملك المخلوع، حتى تذكر دماء الشهيد الأعزل « حسن البنا » الذى خر صريع البغى فى سبيل الحق، فلم تنصفه الأرض، وأنصفته السماء ...!

إن استشهاد « حسن البنا » سيظل خالدا إلى أن تقع السماء على الأرض، ورمزا للفكرة الإسلامية التى أخذت على عاتقها أن تحرر الإسلام من الشوائب، وأن تحرر وطنه من جرائم الاحتلال والاستعمار، ولئن كان من الممكن للتاريخ أن يجور ويظلم، ويتصنع التهاون والإهمال، فلن يقوى بحال من الأحوال أن يجور أو يظلم ذكرى الشهيد الأعزل، أو يتصنع الإهمال والتهاون فيها، لأن ذكر حسن البنا قد سجلت لنفسها الخلود، ونقشت فى القلوب، وامتزجت بالعقائد ...!

محمد عبد الله السمان

حياة المازنى

المرأة فى حيـــاة المازنى

ما أكثر ما عشت فى تلك السنوات الأولى من شبابى
المازنى

للأستاذ محمد محمود حمدان

رثى المازنى زوجته فكأنما كان يرثى نفسه أو بضعة منه ، لا مجرد زوجة ، ويناجيها فى تفجع مرير « وا أسفى عليك ، لا بل على ، لم يبق إلا طيف يعتاد ذا كرتى . لا أثر على الرمال الخائنة التى كنا نمشى فوقها ونرقد عليها ونملأ أكفنا منها ، وندع ذراتها تتساقط خيوطا من بين فروج أصابعنا . ولقد نسيتك النجوم التى كنت تحبينها وتشيرين إليها ببنانك وتعدينها ، ولم تستوحش خلو مكانك إلى جانبى تحت عيونها المتلاحقة ، بل هى لم تذكرك حتى يقال نسيتك . والقمر ، الذى كنت تأنسين بطلعته وتخالسينه النظر من بين خصل شعرك الدجوجى المرخى على وجهك تحت ضوئه الفضى اللين ، لا يزال يبتسم كالعهد به ابتسامة السخر والسهوم كأنه لم يفتقدك . كلا ما من شئ فيما أرى يحس افتقادك ، كأنك لم تحيى وجه هذه الطبيعة الخامدة الحس الميتة الشاعر ، التى تروعنا ولا تحفلنا ، وتنبينا ولا تذكرنا .. وماذا أنا الآن ؟ حى من الأحياء لا يدرى الناس أنى مت منذ سنين ، وأنى قبر متحرك كشمشون ملتون ، أو جثة لم تجد من يدفنها ، و صورة باهتة لما كنته فى حياتى . ولقد كنت كما يتوهمنى الناس الآن ، حيا تتدفق الدماء الحارة فى عروق ، فلما تأملت مصائر الخلق ركدت الدماء قليلا وابتردت ، ومات منى شئ . ثم قضى ولدانا فأحسست دبيب الفناء ، وضحى ظلك فتساقطت أزهار الحياة بين يدى وذوت نوارات آمالى تحت عينى ، وإذا كفى ملأى عيث الزهر مما تطفت قدما »

* * *

وكان يتخذ بيته فى ذلك الحين على تخوم العالمين أو على حدود الأبد ، ويستريح إلى قضاء لياليه فى الصحراء حيث يلفه الظلام فى شملته ، ويرقد على الرمال كما كان يفعل مع زوجته ، ويجمل عينه قيد السماء ، يراعى النجوم ويناجيها ، وتذهله خواطره السود عن نفسه وما حوله

وإنه لغارق فى لجج هذه الخواطر ذات ليلة — والجو ساج شاحب بدره — « .. إذا بفتاة رود تعدو إلى وتناديني باسمى ، فأفقت ورددت إلى الدنيا ولكن كما يفيق المغشى عليه ؛ يتلفت فى كل ناحية ويسأل أين هو ؟ ويعجب لنفسه ولمن حوله ، ويذهنه بعض الكلال ، وعلى عينيه كالغشاوة . ثم اعتدلت فوق الرمل ونبهت حواسى ومداركى بجهد ، وقلت : من عسى تكونين يا فتاتى ؟ قالت : لقد ذهبت أملأ جرتى من بيتكم هذا كعادتى كل ليلة بعد أن تنقطع الرجل ، ألم ترنى قبل الليلة ؟ قلت : نعم ولكنى لم أذكرها . فمضت فى كلامها وهى تلهث وتلقى على الأسئلة ولا تنتظر جوابها : إنى كل ليلة أتسلل إلى البيت وجرتى تحت ملاءتى وأدفع الباب برفق . لماذا لا توصد بابك ؟ ألا تخشى سارقا ؟ ولكن لو كنت توصده لتعذر على أحيانا الدخول ، ولكنت أخجل أن أزعجكم كل ليلة من أجل جرة ماء ! وبعد أن أدخل وأضع جرتى فى الحوض أتركها تمتلئ على مهل وأرود الحديقة ، ولكنى والله لم أقطف منها شيئا ، وإن كنت أحب ثمر الحناء . وقد انتهرتنى ليلة وأنا أتمشى تحسبنى أريد أن أسرق ، فخفت وبكيت فى الطريق وقلت كيف يسئ الظن بى . نعم ، كيف أسأت الظن بى ؟ فقلت : لم أكن أعرفك يا فتاتى فلا تغضبى ، وخذى ما شئت من الحديقة فما بها ما يستحق أن يضن به المرء . فانحنت إلى وأنا قاعد على الرمل ووضعت

راحتيها على ركبتيها وأكبت بوجهها على وجهي وحدقت في عيني وقالت بلهجة العاتب المحاسب : كيف لم تكن تعرفني ؟ ألست أحييك كلما دخلت ورأيتك جالساً في ذلك الركن المظلم تحت الكرمة ؟ فتناولت وجهها بين كفي وجذبته إلى في رفق وقبلتها ، إذ لم يكن ثمة بد من ذلك ، وقلت : لا تغضبي يا فتاتي ، وإذا كنت تريدين ثمر الجناء فاجنيه كله ، أو العنب فعناقيده لك ، ولكن خبريني من دلك على مكاني ؟ ونهضت ، فعادت إلى التحدث وقالت : من دلني ؟ ياله من سؤال ! كأن الدنيا كلها لا تعرف ، ولقد وجدت بابك الليلة موصداً فعلمت أنك خرجت إلى هنا لجئت أبحث عنك لتفتحه لي ، فإني أستحي ان أقرعه قلت : أحسنت ، فتعالي إلى هذه الصخرة . قالت : لماذا ؟ قلت : لتعدي لي النجوم ! قالت : أو هذا ممكن ؟ إنها كثيرة جداً جداً ! قلت : نعم ، ولكنك كلما عددت نجماً وأسرت إليه بأصبعك اختفى واستسر حتى لا يبق في السماء ولا الأرض إلا عيناك ! قالت : أصحيح هذا ؟ وجعلت تثب وتصفق حتى لخلتها إحدى بنات الابل . ومضينا إلى الصخرة وجلست وأجلستها على ركبتي وطوقتها بذراعي ، وانطلقت هي تعد النجوم وأنا ألثم فاها كلما عدت واحداً ، وهي فرحة بلثماتي ، تردها مضاعفة حارة ، وتهز رأسها وتنفض شعرها ثم تلقي بنفسها على ذراعي كرة أخرى وتستأنف العد ووجهها إلى السماء، وشعرها المرسل متدل إلى الأرض ... »

وأياً ما كان أمر هذه العلاقة العابرة وحظها من الواقع أو الخيال فثمة علاقة أخرى مما عرض للمازني في تلك الفترة من حياته ، بعد وفاة زوجته ، لا شك في أنها حقيقة مؤكدة وواقع صرف . وذلك حيث يذكر في مقدمة روايته « إبراهيم الكاتب » أنه عرف سيدة نمسوية [1] تزاول الصحافة والتعليم في آن معا ؛ وتوثقت بينهما الصداقة فقد طال مقامها في مصر . وكانت — كما يصفها — حسناء في مقتبل العمر ، عالية واسعة الاطلاع في الآداب والفلسفة على الخصوص . ويقول المازني إنها أطلعته على صفحة من حياتها حافلة بالكروب والمتاعب . ولعلها وجدت فيما حدثها به من قصة حياته — وكانت لا تزال تراوده صبابة من الحزن على فجيعته بفقد زوجته — ما جعلها تعطف عليه وتأنس به وزاد ذلك بينهما حتى آض ، على الأيام ، صفوا وتعاطفا وودا .. « حتى لقد هممت بأن أتخذها زوجة ، ثم عدلت عن ذلك وصرفت نفسي عنه ، وصارحتها بالسبب ، وإن كنت لا خطبتها ، ولا كان بيننا ما يخطر ببالها أني قد أعرض عليها الزواج

* * *

كلا ! لم يحي المازني قط بمعزل عن المرأة ، فقد كانت أكبر علائق الحياة عنده ، وعليها درس فلسفة الغريزة والجنس ، ومن معرفته وفهمه لطبيعتها كانت شخوص قصصه من النساء نماذج طبيعية للمرأة تصدر جميعا عن فطرة سليمة وعاطفة مستقيمة . على أنه لم يكن يرتفع بالمرأة فوق مكانها من الجنس أو ينأى بها عن وظيفتها إزاء الرجل والنوع كله ، فهي عنده الأنثى التي هيأتها الطبيعة لتكون أداة حفظ النوع وصيانته

وقد ماتت عنه زوجته الأولى فما لبث أن تزوج بعد سنوات لأنه لم يستطع كما يقول أن يشيح بوجهه عن أهم جانب من جوانب الحياة . وما كان ليعترف بالعزوبة أو يؤمن بجدواها في حياة الأديب . ويقول إن أكبر مزية للزوجة هي أنها « سكن » وأنها تفيض على نفس الرجل وتفرغ على قلبه سكينة هي في رأيه السعادة التي يحق للانسان أن يطمع فيها ولا يعجز عن الفوز بها . والزوجة عنده سبيل معرفة المرأة فليس يعرف المرأة من لا يعرف الزوجة ولو عرف ألف امرأة غيرها »

والحب ، أو هذه العاطفة التي تكون بين الرجل والمرأة ، أو بين الذكورة والأنوثة على الإطلاق ، هو عند

---

(١) الدكتور لوته اشترنباخ جارنر ، وكانت تعمل مراسلة لصحيفة neue wi e النمسوية

المازنى مظهر الغريزة النوعية فى الإنسان أو هو الوسيلة التى تتخذها الحيـاة لبقاء مظهرها الإنســانى ، والأداة التى تستخدمها لحفظ النوع . وهو بهذه المثابة ، ليس إلا ضربا من الجوع ، كالجوع إلى الطعام ، وإنما يشتهى المرء بغريزته النسل فيطلب المرأة ، وتشتهى المرأة النسل فتطلب الرجل . وليس الرجل أو المرأة بعد ، كما يقول المازنى ، بالغاية المنشودة من هذا الشعور الدافع الذى نسميه الحب ، وإنما الغاية هى استخدام هذا الشعور لاتصال الرجل بالمرأة اتصالا يؤدى إلى التناسل أى حفظ النوع

وعند المازنى أن الحب أشد استغراقا للمرأة ، لأن مدار حياتها على حفظ النوع . ولهذا كانت الغريزة الجنسية فيها أقوى منها فى الرجل

ولا يؤمن المازنى بما يسمى الحب العذرى أو الأفلاطونى ويقول إنه « مظهر شذوذ أو ضعف فى الطبيعة الإنسانية » وآية ذلك عنده ماينتهى إليه فى أكثر الحالات من الخبل أو الجنـون .. » وإذا كان الحب لا يدفع إلى طلب الجنس الآخر فلا بد أن تكون هنـاك علة أو آفة كالعـلة التى تصرف الجائع عن الطعام »

وليس الحب عنـده بعد ذلك تضحية أو إيثـارا أو شيئا من هذا القبيل ، بل هو أنانية صارخة من كلا الجانبين على السـواء « فكل محب همه الاستيلاء على محبوبه والاستئثار به دون خلق الله جميعا »

على أن أهم ما ذهب إليه المازنى فى فلسفة الحب هو رأيه المعروف القائل بالتعدد ، وأن القلب الإنسانى يتسع لأكثر من حب واحد فى وقت واحـد ، أو فى أوقات متقاربة ، وإن اختلف كل حب فى القوة والنوع والوجهة ، وهـو بعد حب صحيح يملق القلب ويحرك الحس ويغير فى النظرة إلى الحيـاة . ويؤكد المازنى أن الإنسان لا يعرف التوحيد فى الحب ، « فلا الرجل يعرفه ولا المرأة تعرفه ، والحقيقة أنه أكذوبة ضخمة وخرافة يلهج بها اللسان ولا يصدقها القلب » . وقد كانت زوايتاه الطويلتان إبراهيم الـكاتب وإبراهيم الثانى تطبيقا لهذا الرأى وتمثيلا له فى هذه الحدود

* * *

والـكلام عن المرأة فى حياة المازنى لا يتم بغير الإشارة إلى شخصية كان لها أثرها البارز فى حياته وأدبه

تلك هى أمه . وقد مر فى بعض هذه الفصول وصف وجيز لها . وهنا نقول إنها كانت لابنهـا أكثر من أم ؛ فقد كانت له فى طفولته أمه وأباه ، وكانت له فى رجولته أخته وصديقه . وكان ، وهو أب وزوج ، يعود حيالهـا طفلا لا رأى له دونها ، ويكل إليها كافة شأنه تصرفه له وتمينه عليه . ومن الحوادث التى تدل على شخصيتها القوية وأثرها الموحى ، أنه جاءها يوما ، عقب استقالته من وزارة المعـارف وكان ذلك فى بدء الحرب الـكبرى ، فألقى بين يديها بقراطيس فيها (مرتبه) نقودا فضية ، وقال لهـا : هـذا آخر ما أقبض من مال الحـكومة . قالت : يعنى ؟ فأخبرها أنه استقال ، فلم تزد على أن قالت : على بركة الله

ومن حنانها عليه وحبها له أنهـا كانت تقاسمه الدواء إذا مرض ، وتجرع منه أمامه قبل أن تقدمه إليه ، فينكر ذلك منها ويقول لها يا أمى كفى عن هذا . فلا يكون جوابها إلا أنه قلب الأم

وقد كان المازنى ينطوى لها على الحب والاحترام والوفاء وأهدى إليها فى حياتهـا كتابه « رحلة الحجاز » وكان لا يفتأ يذكر فضلها عليه ، ويسرد حوادثها معه ، ويتحرى فيما يعمل مرضاتها وهناءتها . ويقول : لو وسعنى أن أجعل حياتها نعيما خالدا وسرورا دائما وجذلا لا تنضب ينابيعه ولا تجف موارده لـما قصرت ولا كنت صانعا إلا بعض ما يجب لهـا » . فلما ماتت ظل يستوحيها فى كل ما يقوم بخلده أو ما يمضى عزمه عليه ، كأنها حاضرة معه لم تفارقه وكان ربمـا عن له الشىء فلا يلبث أن يستدبره وينصرف عنه ، لـما يقوم فى نفسه من أن أمه لم تكن لترضاه له أو تشير عليه به لو كانت بقيد الحياة

محمد محمود حمدان

صور من الحجاز

الموقف الأكبر ...

للأستاذ محمد كامل حته

أدى الكاتب فريضة الحج هذا العام، وقد نشرنا له فى عدد مضى من الرسالة فصلا عن « الدعوة الوهابية وأهدافها الدينية والسياسية » وفيما يلى يحدثنا عن الموقف الأكبر فى عرفات ...

قال صديق:

— هنيئا لك حجك فى هذا اليوم؛ إنه يعدل سبعين حجة!

قلت: وما ذاك؟

قال: لقد كانت حجة الوداع فى يوم جمعة، وهو يومنا هذا؛ ولهذا قيل إن الحج إذا وقع فى يوم جمعة، تضاعف أجره سبعين مرة ...

قلت: إن الذى يضاعف أجر الحج ليس وقوعه فى هذا اليوم أو ذاك، وإنما فى وقوعه من القلوب بمنزلة الإيمان الواعى البصير، الذى تنعكس أنواره فتسرى فى المشاعر كالكهرباء، ثم تترجمها المشاعر إلى أعمال مبرورة، وكلم طيب يرتفع بصاحبه إلى السماء!

* * *

ولاحت لنا عرفات، ذلك السهل المنبسط الفسيح؛ وقد أقيمت فيه الخيام على مد البصر، وفى أقصاه جبل « إلال » أو جبل الرحمة كما يقولون، وقد بدا كأنه جبل من البشر لا من الصخور ...

إن آلاف الحجاج يغطون جوانبه حتى القمة، وإنك لتشهدهم هكذا حتى فى وقت الظهيرة تحت وهج الشمس المحرقة، وفى أتون الحر اللافح الشديد!

وارحمتاه لأولئك المسرفين فى العبادة، تنطلق بهم أشواقهم إلى بعيد، حتى لتكاد تبلغ بهم المهالك، وهم هائمون ذاهلون ...

وليس ذلك من الإسلام فى شئ أيها الإخوة المسرفون أيها المسرفون على أنفسهم، وعلى دينهم السمح اليسير؛ هذا الدين الذى لن يشاده أحد إلا غلبه، مهما أوتى من قوة وطاقة، ومهما أسرف على نفسه من جهد وعناء

خذوا ذلك عن سيد العابدين، وأوغلوا فى الدين برفق كما يقول

ثم ما هذا الوقوف على جبل « إلال » وما مكانه من مناسك الحج كما شرعها محمد بأفعاله وأقواله؟

إن الحج عرفة، ذلك السهل المنبسط الفسيح. وكل مكان فيه موقف لأداء هذه الفريضة، وقد وقف الرسول عند جبل « إلال » ولم يصعد جانبه أو يتسنم قمته كما يفعل هؤلاء الغلاة المسرفون؛ وأقر مئة ألف من أصحابه على الوقوف حيث هم من ذلك السهل المنبسط الفسيح، يتوجهون إلى الكعبة بالتهليل والتسبيح والدعاء

وارحمتاه لأولئك المسرفين على أنفسهم وعلى دينهم!

إن منهم من يقدم إلى الحج فى أخريات أيامه، محطما هزيلا متهالكا من شيخوخة وإعياء؛ وليست لديه إلا أمنية واحدة، هى أن يموت فى هذه الأرض الطاهرة البيضاء ...

وهو فى سبيل تحقيق هذه الأمنية التى تملك عليه كل مشاعره؛ يحاول جاهدا أن يستعجل هذه النهاية، ويختصر فى الوصول إليها أسباب الحياة!

إنه يجد فى أشعة الشمس المحرقة خيوطا ترق عليها روحه إلى السماء، فهو يتعرض لها ويتشبث بأسبابها ليبلغ من أمنيته ما يريد ...

وهو يقسو على شيخوخته وضعفه، بل إنه ليمد هذه الشيخوخة وذلك الضعف بما يدفعهما به دفعا إلى مصيره

الرهيب الحبيب !

إنه الانتحار ... الانتحار على أخبث صورة وأبعدها فتنة وضلالة ؛ لأنه انتحار بلبس ثوب الشهادة فى سبيل الله ؛ والله ورسوله من ذلك براء

* * *

وجدير بى وأنا أتحدث عن أولئك المسرفين على أنفسهم وعلى دينهم ، من أمثال أولئك الشيوخ الفانين ، وغيرهم ممن لا تتوافر فيهم شرائط « الاستطاعة » كهذا الذى يقدم على الحج وهو ضعيف معتل ، لا يقوى على متاعب الحج ومشاقه ؛ أو ذاك الذى يبيع كل ما يملك من حطام الدنيا ليظفر بأداء هذه الفريضة ، لا يعنيه بعد ذلك أن يعود إلى بلده معدما يستجدى النـاس ما يعول به نفسه وأهله

جدير بى فى هذا المقام أن أضرب مثلا عما فرضته دولة إسلامية ناهضة هى إندونيسيا ؛ إذ اشترطت على من يريد أداء فريضة الحج شروطا منها : ألا تزيد سنه على خمسين عاما ، وأن يجتاز فحصا طبيا تثبت به سلامته من العلل والأمراض ، وتدخل فى ذلك المرأة أيام حملها ؛ وأن يكون لديه من المال — عدا نفقات السفر والإقامة — ما لا يقل عن سبعين جنيها . وإذا ثبت أنه باع عقارا لا يملك سواه لينفق منه على رحلة الحج ، منع من السفر ورد إليه عقاره

ولم يكن من نتائج هذه السياسة أن انصرف الإندونيسيون عن الحج ؛ فإنهم ليفدون على البيت الحرام أفواجا مؤلفة ؛ وإنما كان من نتائجها أنها جنبت العجزة منهم كثيرا من المهالك والمآثم ، وبعثت إلى موسم الحج بالنماذج القادرة الصالحة لأداء هذه الفريضة

* * *

... واجتمع فى عرفات ثلثمائة ألف أو يزيدون . وفى هذا الموقف تتجلى روعة الحج وحكمته ؛ هذا المؤتمر الإسلامى العظيم الذى يهرع إليه المسلمون من جميع أقطار الأرض ليشهدوا منافع لهم

ولكن أى منافع تلك التى شهدناها فى هذا الموقف الجامع ، وأى ثمرات جنيناها من ذلك المؤتمر الخطير الذى لا تتهيأ أسبابه المادية والروحية إلا يوم عرفه ؟

... وأخذتنى سنة من النوم وأنا جالس فى المخيم الذى أعده فندق مصر لنزلائه ، أتفيأ الظل وأقرأ فى كتاب . وإذا بى أشهد جبل « إلال » قد أقيمت عليه مظلة كبيرة تخفق فوقها عشرات الأعلام ، وقد جلس تحتها نفر من الناس فى لباس الإحرام ، على منصة ذات أسوار . وإذا رجل منهم يقف أمام جهاز للاذاعة فيهتف :

— الله أكبر ، ولله الحمد

ثم ينطلق فى حديث تردده أجهزة للاذاعة أقيمت بين الخيام ...

إنه يتحدث عن هذا الموقف العظيم ، ويرجو أن يكون شهوده جديرين بأن يباهى الله بهم ملائكته فى السماء !

ثم هو يتلو على الناس ما اتخذه مؤتمر الحجيج فى الموسم السابق من قرارات ، وما قامت به الدول الإسلامية لتنفيذ هذه القرارات من جهود . وهو يستعرض بعد ذلك قضايا العالم الإسلامى ، وعلاقاته بغيره من الدول ، فى إحاطة وإيجاز . ويتنحى عن مكانه بعد أن يقدم للحديث أولئك النفر الذين يجلسون حوله واحدا بعد الآخر ...

فهذا آية الله الكاشانى يتحدث عن تأميم الزيت فى الحقول الإسلامية ؛ وعن مشروع الكتلة الثالثة ، التى تحفظ على العالم الإسلامى والعربى كيانه ، ويعتدل بها ميزان الأمن والسلام الذى تتأرجح كفتاه بين الشرق والغرب

وهذا محمد البشير الإبراهيمى رئيس جمعية العلماء فى الجزائر ، يرسم الخطوط العملية لتحرير المغرب العربى من نير الاستعمار

وهذا سردار عبد الرب نشتر وزير الزراعة فى باكستان يتحدث عن تجارب بلاده فى سياسة الاكتفاء الذاتى ،

ويعرض مشروعا للتعاون الاقتصادى بين البلاد الإسلامية

وهذا بشير السعداوى زعيم طرابلس ، يكشف عن المؤامرات الاستعمارية التى أحالت استقلال ليبيا بمدجهادها الدامى أربعين عاما ، إلى أسطورة سياسية ...

وهذا الدكتور محمد حتا نائب رئيس الجمهورية الإندونيسية ، يروى قصص البطولة النادرة ، التى صرعت الاستعمار الهولندى وأسناده فيما وراء البحار ...

وهذا عبد الله الفاضل المهدى ، يعدد جرائم الاستعمار البريطانى فى السودان ، وخاصة فيما وراء الستار الحديدى فى الجنوب

وهذا الأمير سيف الإسلام عبد الله ، يتحدث عن الكنوز المعدنية المخبوءة فى حقول اليمن وجبالها ، ويدعو أهل الفن وأرباب المال فى البلاد العربية والإسلامية ، لكشف هذه الكنوز واستغلالها ؛ وبذلك تزداد موارد الثروة الاقتصادية فى العالم الإسلامى ، وتتخلص اليمن مما هى فيه من فقر وجهل ومرض وتخلف عن ركب الحياة

وهذا أمين الحسينى يؤبن الفردوس المفقود ، ويردد أنات شعب فقد الوطن ، وفقد معه حقه فى الحياة ، وأنكر الأولياء من أبناء عرقه وملته ؛ قبل أن ينكره الأباعد والأعداء

وهذا حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة ، يتحدث عما ابتدعه المسلمون فى دينهم من طقوس ، وما أحدثوا من ضلالات ؛ الأمر الذى أوشك أن يعود بالإسلام غريبا كما بدأ ، وأوشك أن يجعل المؤمنين به ، القائمين على شريعته غرباء فى هذه الحياة !

وهذا نجيب الراوى سفير العراق فى مصر ، يعرض مشروعا أعدته بلاده لتعمير ملايين الأفدنة الغامرة على ضفاف دجلة والفرات ، ويرى أن نجاح هذا المشروع فى العراق ؛ وقيام مثله فى مصر ؛ كفيل بأن يمحو عنهما وصمة استيراد « الحبوب » من البلاد الأجنبية ، ويفتح مجالا واسعا لترقية مستوى المعيشة ، بازدياد الإنتاج الزراعى ، وإنعاش الحياة الاقتصادية فى البلاد

وهذا حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية ، يتحدث عن التقريب بين المذاهب ، وعن الاجتهاد فى الشريعة ، حتى توائم تطور العصر وتواجه مشكلات المجتمع . وحتى يصبح التشريع الإسلامى مادة حية فى المجتمع الإسلامى ، وليس أثرا جامدا فى الكتب الصفراء ...

وهذا الأمير فيصل يتحدث عن مشروع خمس السنوات الذى وضعته الحكومة السعودية للنهوض بمرافق الدولة ومستوى الشعب ، ورصدت له مائة مليون من الجنيهات

ثم عاد المتحدث الأول إلى « الميكرفون » يقول :

— والآن ، أيها الإخوة ، نختتم هذه الجلسة الأولى للمؤتمر . وموعدنا معكم أيام التشريق فى « منى » حيث تجتمع اللجان الفنية لدراسة ما لديها من مشروعات ، وما تقدمونه إليها من مقترحات ، ثم تعرض تقاريرها على المجلس الأعلى للهيئات النيابية ، فيحولها إلى مواثيق تأخذ طريقها إلى التنفيذ

— الله أكبر ، ولله الحمد !

* * *

وأفقت من غفوتى على ضجة فى المخيم ، وتلفت فإذا الخدم يحملون أكواب الشراب المثلج ، والناس يتصايحون ليطفئوا ظمأهم الشديد

ثم هدأت الضجة ، ولم يزل أثر هذا الحلم الجميل يداعب أجفانى ، ويراودنى على الإغفاء من جديد !

وساءلت نفسى : أين نحن فى موقفنا هذا من تلك الصورة التى طافت بى فى المنام ؟ وأين هى تلك المنافع التى جئنا لنشهدها فى هذا الموقف الجامع العظيم ؟

إن جبل « إلال » ما يزال ماثلا أمامى تغطى جوانبه وقنته آلاف الحجاج ، تصهرهم أشعة الشمس المحرقة ، ويرمضهم حرها الشديد ؛ ولا تطوف بخواطرهم إلا معان

شعر مختار

رباعيات

للدكتور عبد الوهاب عزام

ينبع الشعر والشواغل شتى كانبجاس الزلال بين الرمال
أبصر الفاصافيا لست أدرى كم فياف سرى بها وجبال

قد عبدنا حدائق الحسن فى الأرض
ترينا الثمـــار كل شهى
وكبرنا عن أن نسف إليها فمضينا كطائر وحشى

قلت لليل كم بصدرك سر أنبئنى ما أروع الأسرار ؟
قال : ما ضاء فى ظلامى سر كدموع المنيب فى الأسحار

قد تهاوى إلى الحضيض أناس وخذوا حين حوسبوا بالظواهر
ليت شعرى فما يكون أناس ما يكونون يوم تبلى السرائر ؟

قالت النفس لا تسل لست أدرى
فى خضم الحيــاة بالقصود
غير أنى أرى شراعا وريحا ومنارا يلوح لى من بعيد

لا يبالى الأخيار فى هذه الأر ض بباغ ومفتر وحسود
لو يبالون لم يشقوا طريقا بين هذى الآفات نحو الخلود

كم سمعنا وكم رأينا عجيبا : فى أناس طبيعة الحرباء
فهم يبـــدلون لونا فلونا فى غداة وضحوة ومساء

لا ترج الثواب عنـد عباد خاب من يرتجى ثواب العباد
كم يجازون بالإسـاءة إحسا نا وبالكفر ما لقوا من أيادى

لا يعادى الإنسان كلباعقورا أو يخاف الملام إن فر منه
كم عقور من الأناسى فاحذر ه ولا تخز إن تباعدت عنه

علماء الزمان فى درجات لا من العلم بل من الأموال
إنما هـــذه الوظائف أثما ن بها قومت قدور الرجال

عبد الوهاب عزام

غامضة ساذجة ، ليس بينها وبين تلك المعانى المشرقة الرشيدة التى طافت بخواطر أولئك النفر الذين تخيلتهم فى منامى ، إلا ما بين الحقائق والأحلام

وإن هؤلاء النفر الذين يمثلون الصفوة المفكرة المجاهدة من رجالات الأمة الإسلامية ، والذين تخيلتهم فى موقفهم ذاك على جبل « إلال » يتحدثون ويلهمون ؛ فتهتز لحديثهم جنبات الوادى ، وتتجاوب مع كلماتهم قلوب الملايين من مسلمى الأرض ، وتنخلع أفئدة زبانية الاستعمار وقراصنة الشعوب ... هاهم أولاء بذواتهم يؤدون فريضة الحج ، ويقفون فى عرفة . ولكن وقوفهم هـذا أبعد ما يكون عن وقوفهم ذاك ؛ بعد الأرض عن السماء

إنهم هنا لا يؤدون تلك الأمانة العظمى ، فيتحدثون إلى مئات الألوف ، ومن ورائهم مئات الملايين ؛ ومن وراثهم دول العالم ترهف السمع والقلب — حديث التوجيه والإلهام والبعث والبناء ؛ ولكنهم يقفون كغيرهم من عامة الناس ، ممن لا يحملون أمانة ، ولا يضطلعون بمسؤولية . وإذا تحدث أحدهم لا يتجاوز حديثه بضعة أفراد ، ولا يتخطى أبواب الخيمة وآذان سامعيه !

أين هى إذن تلك المنافع التى جئنا لنشهدها فى هـذا الموقف الجامع العظيم ؟

إن منفعة واحـدة هى التى أزعم أننى أفدتها . ويزعم الكثيرون

هى الشعور بهذا النقص الخطير فى تمثل حكمة الحج وتلك المسؤولية الكبرى فى إهدار هذه الفرصة التى لا تتاح للمسلمين إلا مرة كل عام

محمد كامل حتة

لقد «أنجبت» أرض الكنانة منقذا

للشاعر الفلسطيني الأستاذ مصباح العابودي

معاذ العلا أن تقبل الخسف موردا ... وتغدو مسودا بعد أن كنت سيدا

وحاشاك أن تحيا على الناس عالة ... وتهجر ميدان الكفاح وتقعدا

وأنت الذي أحنى له الدهر هامه ... وسطر للأمجاد سفرا مخلدا

بنى فوق هام الشهب أهرام مجده ... ومن مهج الأبطال صرحا مشيدا

أغرت على الأهوال سهما مسددا ... وصلت على الأحداث سيفا مجردا

فأوشك ثغر الصبح يفتر باسما ... وكاد طريق النصر يبدو معبدا

ولكن «شيوخ» العرب «لله[1] درهم» ... أبوا لك إلا أن تكون مشردا

عجبت لكم فيم التفاخر بينكم ... فهل ظل غير «البيت» أن يتهودا

ويا ليت هذا البيت أضحى مهدما ... وصينت لنا الأعراض بيتا ومسجدا

تشاد بيوت الله إما تهدمت ... وما انهار من أعراضنا لن يشيدا

* * *

محرر وادي النيل إعجاب شاعر ... يرى فيك للاسلام عزا وسؤددا

فلسطين لن تنساك برا بأهلها ... حفيا ولن تنساك عونا ومنجدا

وأن دما أهرقته فوق تربها ... سيبقى على الأيام هديا ومرشدا

لنا فيك آمال كبار أجلها ... قبولك جيش اللاجئين مجندا

نشارك في تحرير مصر وحسبنا ... نرد جميلا أو نموت فنحمدا

فنحن وهبنا المجد ما في أكفنا ... ونحن مهرناه نفوسا وأكبدا

إذا دعت العلياء يوما فإننا ... لأول شعب مستجيب إلى الندا

بلادي لك البشرى ولي فرحة اللقا ... ظلامك قد ولى وصبحك قد بدا

لقد «أنجبت» أرض الكنانة منقذا ... وقد بعثت كف السماء «محمدا»

غضبة ريح الشمال

للأستاذ محمود عماد

لبثت الدهر ياريح الشمال ... رخاء سجسجا في الانتقال

يناشدك العليل شفاء داء ... ويسألك الحزين صفاء بال

فكيف غدوت عاصفة تذرى ... ديار القوم تذرية الرمال ؟

كأنك مارد شرس غضوب ... يروع بالعزيف وبالصيال

تركت البر بحرا ذا سفين ... ولج البحر برا ذا جبال

فأغرق طائر إذ طار حوت ... إلى شجر بأقصى الشط عال

وأفلتت الشباك الصيد إلا ... أوابد من نساء أو رجال

ولاقى الغرب ما لاقاه منه ... أخوه الشرق من سوء الفعال

فمن المريخ بالتأديب أوحى ... وعلمها التفوق في النزال ؟

وأشهدها بمصر وإندنسيا ... وفي مراكش هول النكال ؟

لئن جاز الشمات لنا شمتنا ... وقلنا عشت ياريح الشمال !

ويا ريح الجنوب ترسميها ... غلوا في الدمار وفي الوبال

ولكنا لآدم انتسبنا ... إذا انتسبوا إلى وحش الدغال

وأن يعوزهمو خلق جميل ... ففي أخلاقنا سمة الجمال

فياريح ارحمي الظلام مما ... به نكبوا الأواخر والأوالي

المعنى المقصود « لادردرهم »

مسرح وسينما

مسرحية (ست البنات)

تأليف : الأستاذ أمين يوسف غراب . إخراج : الأستاذ حمدي غيث
تمثيل : فرقة المسرح المصري الحديث

للاستاذ علي متولي صلاح

بدأ التنافس يشتد بين المؤلفين وبين الفرق المسرحية عندنا على تقديم المسرحيات الهزلية (الكوميدية) حتى أوشكت أن تستغرق المسرح المصري كله . ومرد ذلك — من غير شك — إلى أن هذه المسرحيات قريبة من أهواء الجماهير ، محببة إلى نفوسهم ، وإلى أنها تجلب من (الإيراد) ما لا تجلبه سواها من المسرحيات !

ولست أدري ما الذي يهدف إليه الكثيرون من مؤلفي هذه المسرحيات ؟ اللهم إن كان كل ما يهدفون إليه هو إضحاك الجماهير — دون نظر إلى أي إعتبار آخر — فليس عليهم من بأس إذا هم تركوا المسرحية واكتفوا (بالنكتة) الشعبية ، أو (القافية) البلدية ، أو هز البطون وتلعيب الحواجب وإخراج اللسان وما إلى ذلك ، فإن في هذا غناء لهم أي غناء ، ومتسعا لهم أي متسع !

أما إذا كانوا يهدفون إلى الإضحاك عن طريق (المسرحية) فإن لزاما عليهم أن يراعوا قواعد هذه المسرحية، وأن يدرسوا أصولها ، وأن يجعلوها غرضهم الأول بحيث يكون الضحك منبعثا عنها ، متشمما من داخلها ، لا منصبا عليها انصبابا من الخارج في افتعال وإقحام ؛ ليستمر ضحك الجمهور ، وترتفع قهقهته ، فيضمن المؤلف والفرقة إزدحام الناس ووفرة الإيراد !

وليست المسرحية التي نعالجها اليوم نموذجا أعلى لهذا اللون من المسرحيات التي يقصد منها إلى الإضحاك وحده وإن أخذت بالكثير من أسبابها — ولكن هذه الظاهرة واضحة في مسرحياتنا الهزلية ، جنح إليها المؤلفون جنوحا كبيرا حتى جعلوا مقدار نجاحهم يساوي تماما مقدار ما تؤدي إليه مسرحياتهم من إضحاك ، دون نظر إلى مقومات المسرحية أو إلى الغرض التهذيبي أو العقلي منها !

ومسرحيتنا اليوم (ست البنات) تقوم على قصة شاب يشتغل محاميا تزوج حديثا ، ولكنه ظل سادرا في غيه وضلاله ، منصرفا عن بيته وعن مكتبه إلى عشيقاته الكثيرات اللائي اتخذ لهن مسكنا خاصا أنيقا يقضي فيه معهن السهرات الممتعة والليالات الملاح ! ولكن زوجته — وقد ضاقت بذلك كثيرا — اتخذت صورة خادمة المنزل واتفقت مع وكيل مكتبه — بعد أن بذلت له الوعود المعسولة ! — على أن يوافيها بأنبائه جميعا ، ويطلعها على حركاته وسكناته ، ويفضي إليها بأسراره ومواعيده مع عشيقاته . واتخذت — من ناحية أخرى — صفة مندوبة جمعية وهمية تسمى (جمعية الهلال الأخضر) . وجعل وكيل المكتب — وقد سحره جمالها وجمحت به رغبته في تحقيق وعودها ! — يفضي إليها كل يوم بتلك الأنباء والمواعيد. وأخذت هي — بصفتها مندوبة جمعية الهلال الأخضر — تتصل بآباء عشيقاته . وتعمل جاهدة على أن تفسد عليه كل خطة . وأن تأخذ عليه كل سبيل

ثم انتهت إلى أن عرفت مكان مسكنه الخاص ومأوى عشيقاته . ففجأته فيه ذات ليلة . ولكنها لم تجده به . وإنما وجدت صديقا له كان قد استبقاه وطلب إليه القيام بخدمة كبرى ! فقد اجتمع له في مساء تلك الليلة موعدان مع عشيقتين يريد إحداها ويأبى الأخرى . ولن يستطيع أن يجمع بينهما في صعيد واحد ! فطلب إلى صديقه هذا أن ينتظر بالمنزل حتى تحضر هذه (الأخرى) فيحاول أن يتخذ معها موقفا مريبا يفجؤها فيه هذا الزوج فيثور عليها ويطردها من المنزل فيصفو له الجو مع عشيقته التي يهواها !

ولكن الزوجة هي التي حضرت — قبل المشيقة

المرتقبة — فحسبها الصديق تلك المشبقة ورغب فى القيام بالمهمة التى طلبها إليه صديقه . ورغبت هى أيضا — بينها وبين نفسها — فى ذلك لإشعال نار الغيرة فى صدر زوجها . فالتقت الرغبتان . وجاء الزوج فرأى هذا الموقف المريب . فتاب وأناب . وأقسم لها بالله العظيم أن يهجر هذا المنزل . وأن يثوب إلى زوجته وإلى عمله مدى الحياة

ذلك هو الخط الرئيسى لمسرحية (ست البنات) ؛ ولست أفهم سببا لإطلاق هذه التسمية على مسرحيتنا هذه إلا أن هذه الكلمة من صميم كلام الشعب . وليس مما يصح فى الأذهان أن يسمى المؤلف إحدى بطلات مسرحيته باسم (ست البنات) مثلا ، قاصدا إلى ذلك متعمدا إليه . ثم يجعل من هذا الاسم المفتعل اسما للمسرحية كلها دون أن توجد أدنى علاقة بين هذا الاسم وبين موضوع المسرحية . فإن هذا خداع للناس وتضليل لهم يجب أن ينأى عنه كرام المؤلفين . وقد أشرت إلى ذلك عند حديثى عن (صندوق الدنيا) ..

والعجيب فى أمر (ست البنات) هذه — وهى زوجة المحامى — أنها ظهرت لنا فى الرواية — أول ما ظهرت — طيبة القلب ساذجة سليمة الفؤاد صابرة مؤمنة تقول بأن (الست تعيش مرة واحدة وتتجوز مرة واحدة) — وإن كان ذلك يؤذى شعور بعض السيدات ويخالف ما شرع الله ! — وتقول بأن (الدموع فى بيت الزوج أحسن من الضحك فى بيت الأب) ... ثم إذا بنا نراها بعد قليل جدا من الزمن . وقد انقلبت امرأة لعوبا خبيثة ماكرة تمثل دور الخادمة فى حذق وإتقان . وتلعب بعقل وكيل مكتب زوجها — وهو رجل كهل كثير التجارب — وتغريه بالأمانى المعسولة ، وتستدرجه فيفضى لها بكل ما تريده ، وتمثل — فى نفس الوقت — دور مندوبة جمعية الهلال الأخضر — وهى جمعية وهمية كما قدمت — وتستمر فى هذا التمثيل طويلا دون تعثر أو اضطراب حتى تحقق ما تريد ! فمن أين جاءها كل هذا المكر والدهاء على حين فجأة ؟ ... وعلى العكس منها تماما كان زوجها ، فهو — كما بدا من أول الرواية حتى قبيل نهايتها — رجل عابث مستهتر ، زير نساء ، واسع الحيلة ، كثير التجارب فى أمور النساء خاصة ، ثم هو محام فوق ذلك كله ، وهو قد استشعر التجسس عليه وأحسه ولمسه حتى قال (كل الناس بيتجسسوا على حتى التليفون !) ... رجل هذا شأنه كيف لا يدرك أن موقف زوجته مع صديقه — فى منزله الخاص — تمثيل منها وصناعة ؟ كيف لا يدرك ذلك وهو يعرف أخلاق صديقه ، ويعرف أن زوجته لم تلتق به ولم تعرفه إلا منذ لحظة ؟ ويعرف أن الأمر يقع فى منزله الخاص الذى لم تدخله زوجته إلا هذه المرة ، والذى لا تأمن فيه أن يحضر زوجها فى أى وقت لأنها تجهل نظام المنزل ومواعيد حضوره فيه — وهذا فى نظر الزوج طبعا — كيف يجتمع له كل ذلك ثم ينخدع فى هذا الموقف ويؤمن بأنه حقيقة خالصة ؟

ثم لماذا تاب وأناب ؟ ألأنه قد انكشف أمره ؟ إن ذلك لا يكون سببا فهو يعلم أن أمره مكشوف من زمن بعيد ، وأن الناس يتجسسون عليه ، وأن التليفون يتجسس عليه أيضا كما قدمنا ! أم لأنه انخدع فظن السوء بصديقه وزوجته ، وذلك أمر لا يعنى من كان على شاكلته ، ثم هو قد علم بعد لحظة يسيرة بأنه كان تمثيلا من الزوجة وكان خطأ من الصديق كما صرحا له بذلك ! إن الممثل الذى كان يقوم بدور الزوج — وهو الأستاذ صلاح سرحان — قد اختلج واضطرب عندما أراد أن يقوم بهذه التوبة والإنابة فأكبرناه وحمدنا له هذا الاختلاج والاضطراب ! إنه إحساس منه بحرج الموقف ، وشدة المفارقة ، والنقلة المفاجئة من الضلال البعيد إلى الهدى والاستقامة !

وكم كان خيرا لو أن المؤلف نأى عن الكلام الذى يمس الناحية الجنسية كقول الخادمة مثلا عن وكيل المكتب الذى طلب أن يكون متقدم أتعابه قبلة (إذا كان النيل

بيمعل كده على القدم !) وكقول المؤلف – متهكما – عن نظام علاقة الزوج بمشيقاته إن (جلساته تنعقد فى البارات، والحكم على السلم، والتنفيذ هنا فى الشقة !) وغيرها فإن هـذا – وإن أضحك البعض كما يقصد إليه المؤلف – فإنه يؤذى شعور البعض الآخر والمسرح للناس جميعا

وكم كان خيرا لو أنه نأى عن الكلام الذى فيه تعريض ببعض الناس أو زراية ببعض الطوائف مثل قوله للخادمة (أنت خدامة ولا مدرسة إنشاء !) ومثل قوله (إنها متخرجة من حى زينهم) ومثل زرايته المستهجنة بالشعراء وإظهاره لأحدهم وهو يخور كالثور قائلا (عا – عا) ويدق صدره بيده كالمجنون، ويقبض قبضات من الهواء يضحك لها الناس فيرضى المؤلف ويعتلى سرورا بضحكهم ! وأرجو ألا تجمع الرغبة فى الإضحاك ببعض المؤلفين إلى هذا الحد. وكم كان خيرا لو قال – نوعا ما – من الاعتماد الكثير على التليفون الذى استمر معه طول الرواية والذى يذكرنا بالمغنى الضعيف الذى يجعل أكبر اعتماده على (التخت) !

ولا أدرى كيف يشهد الزوج الزينة بين زوجه وصديقه ويؤمن بهما إيمانا تاما، ثم يدور الحوار بينهم طويلا، وصديقه ينحيه ويبعده عنها – باعتبار أنها صديقته التى صارت خليلة لصديقه هذا – ويستمر هـذا الحوار ربع ساعة دون أن يعلن أنها زوجته ؟ كيف يحتمل الزوج هذا كله ؟ وما الذى عقل لسانه عن إعلان أنها زوجتـه ؟ بل ما الذى أقعده عن قتله أو قتلها وهو ما يفعله الكثيرون فى مثل هذا الموقف ؟

أما المخرج والممثلون فأشهد أنهم – فى جملتهم – قد أمدوا هـذه المسرحية بحياة ليست منها فى شئ؛ فإنهم قد بذلوا جهدا مشكورا وحملوا مشقـة كبيرة، وأخص بالذكر منهم (أحمد الجزرى)، (نور الدمرداش) ولكنى أسأل الأستاذ المخرج: كيف – وقد جعل المؤلف فصل الرواية الأول يمثل نهارا كاملا – لم يعمل فاصلا يوضح به مرور هذا الزمن الطويل، ولم يغير الإضاءة كما تتغير فى واقع الحياة ؟ وكيف يجعل الخادمة تقابل الضيف الكبير وهى تحمل (القشة) بل تضعها أمامه على المنضـدة وهو أمر غير مألوف فى الحياة ؟ وكيف يظلم مكتب المحامى إظلاما دامسا ويدعه فارغا من كل صوت ومن كل إنسان فترة من الزمن ؟ وكيف يملأ القسمين اللذين انقسم إليهما المسرح – فى الفصل الثانى – بالحركات الكثيرة هنا وهناك فتشغل إحداها عن الأخرى وتكون سببا فى إضعافها وإماتتها ؟

وأسأل الأستاذ (عدلى كاسب) لماذا يتشبث بمحاكاة (بشارة واكيم) فى هيئته وحركاته وكلماته فيذكر الناس (بشارة) وينسون (عدلى) ؟ وكيف يمد يده – مغازلا – لمندوبة جمعية الهلال الأخضر فى بيتها بمجرد لقائه بها فى منزلها بدون أى مقدمات تشجعه على ذلك ؟ وكيف يطلق العنان لأنفه فيسترسل فى (التشخير) مرات عديدة اللهم إلا إذا كان ذلك لأنه رأى الجمهور يستريح لهذا الشخير ويضحك منـه ؟ ولمـاذا يطلق الرصاص على الوكيل – الذى حسبه المحامى – بافتعال واضح وهو يقفز ويضحك ويجرى ؟ ويطلقه فى الهواء دون هدف ؟

وأسأل (صلاح سرحان)، (سميحة أيوب) لمـاذا يطلبان التليفون بإدارة أربعـة أرقام لا خمسة كما يجب – وقد تكرر هذا منهما – وهما يعلمان أن التمثيل يجب أن يمثل الحقيقة بحذافيرها وأنه إذا دخله الزيف فقد انهار من أساسه ؟

وأسأل (أحمد الجزرى) لماذا يخلع الحذاء ويهم بأن يضرب به المحامى وصديق المحامى ثم لا يفعل – دون أن يرده أحد عن هذا الفعل – وهو عمل غير مستحب ؟ ولماذا – وهو يحاول إفهام السيدة أن اسمه دردير أفندى بالدال – يشير بيـديه – ممثلا صورة حرف الدال – إشارة تمثل أحد الأعضاء الجنسيـة فى الإنسان، ليضحك

الناس، وهو يعلم أن هـذا شيء لا يجوز؟ وكيف يسمح المخرج بهذه الفعلة؟

وأسأل (سميحة أيوب) كيف تجري وراء زوجها وهو يفض الخطاب كأنها تستطلع ما فيه مع أنها قرأت صورته كاملة أمامنا — نحن جمهور الشاهدين — منذ لحظة يسيرة مع أنها وقفت حامه بحيث نراها نحن ولا يراها هو؟

أرجو أن يتنبه الممثلون إلى أن هذه الدقائق في أعمالهم ليست دقائق في أعين الجمهور الذي يرقب كل حركاتهم في يقظة شديدة وانتباه كبير

علي متولي صلاح

أخبار أدبية وعلمية

الحوانيت الغامضة

يصدر نفر من كتاب الطليعة الأوربيين في روما العاصمة الإيطالية مجلة جديدة من نوع غريب تحمل اسم «الحوانيت الغامضة Botteghe Oscure» يشترك في تحريرها بعض الناشئين من الكتاب الإيطاليين والفرنسيين والإنجليز باللغات الثلاث. وتدعي هذه المجلة أنها لسان حال الأدب العالمي الجديد. وقد انبع محررو هذه المجلة أسلوبا مستحدثا في الكتابة والتعبير، فهم لا يتقيدون بقواعد الصرف والنحو وأبواب القريض التقليدية. فالنقط والفواصل وما إليها من الإشارات التعبيرية والكتابية والتحريرية مفقودة من نص المقالات أو مدونة في أماكن لا يصح أن تستعمل فيها

وعدد صفحات المجلة ٤٧٩، وتصدر في غير انتظام، وبعض مقالاتها وأشعارها رؤوس أقلام لأعمال أدبية ضخمة يطمح كتابها أن يتوسعوا فيها حين يطيب لهم مثل هذا التوسع! والغموض يكتنف مجلة «الحوانيت الغامضة» حتى ولو حاول القارئ استيعابها في ضوء أشد المصابيح إشراقا

ترجمة جديدة لأشعار بودلير

صدرت في هذا الشهر ترجمة إنجليزية جديدة لديوان «زهور الشر» للشاعر الفرنسي المعروف بودلير. وقد أثارت هذه الترجمة جدلا حول صعوبة ترجمة المنظوم من الأدب الأجنبي والصعوبة التي يواجهها المترجم في نقل الروح الشعرية واللفظية التي يتميز بها الشعر بين أدب وآخر من الآداب العالمية

وقال نفر من النقاد إن أسلوب ترجمة الأشعار الكلاسيكية لأشعار بودلير يجب أن يتفادى ما استطاع الابتذال في التعبير، وأن يتعمد صياغة الترجمة في الأسلوب اللغوي القديم الذي من شأنه أن يحيط الترجمة بهالة الجلال الأدبي الذي يتناسب مع عظمة التراث الأدبي للمترجم له

وقال نفر آخر من النقاد إن القارئ المعاصر يجب أن يزود بترجمة خلية من التعبيرات القديمة وإن جاء ذلك على حساب الأمانة الأدبية في النقل

ويبدو أن الاتجاه الثاني هو السائد في حاضر الأدب الإنجلو سكسوني. وليس أدل على هذا من المجهود الأخير الذي قامت به الكنيسة البروتستانتية في إعادة ترجمة التوراة في لغة عصرية تخلصت من بعض التعابير البائدة التي كان الكثيرون من عشاق «الكتاب المقدس» يعتقدون أنها خير ما في هذا الكتاب من مزية أدبية

كتاب جديد لجابريل مارسل

يعتقد جابريل مارسل الفيلسوف الفرنسي المعاصر وأحد اتباع المدرسة الوجودية Existentialisme بأن أخطر ما يهدد الحضارة الغربية اليوم هو «رجل الشارع» ورجل

الشارع كما يعرفه جابريل مارسل علم على الاتجاه الأدبي والفكري والفني الذي يحاول أن يبسط الفن والأدب والثقافة بشتى ألوانها بحيث يسهل هضمها على رجل الشارع الذي لا تتوفر لها مؤهلات ثقافية وملكات أدبية وفكرية تعينه على استيعاب الأدب والفن كما يطمع في معالجتهما المبدعون من الكتاب والفنانين

وجابريل مارسل يدعو إلى توطيد دعائم الحضارة المسيحية كما يفسرها أتباع المدرسة الوجودية . وهو أميل إلى تقليد الفيلسوف كيير جيكار Soren Kierkegaard منه إلى الانضواء تحت علم بول سارتر . وكلاهما من أئمة المدرسة الوجودية

وجابريل مارسل في دعوته إلى إحياء الأسس الروحية للحضارة المسيحية لا يصر على التقيد بألوان التعصب الديني الذي يحلو للكنيسة الكاثوليكية التشبث به . ومارسل في انتقاده للكنيسة الكاثوليكية ينتقد الصوفية الغامضة التي يطيب للأدباء الكاثوليك تمجيدها وبث الدعوة إليها في إنتاجهم الفكري المعاصر . ويعتقد مارسل بأن هذا اللون من الصوفية هروب من المسؤولية الأدبية ؛ فكما أنك لا تطلب من « رجل الشارع » أن يتذوق الأدب والشعر لذلك لا يليق بك أن تطلب من المثقفين الدخول في عوالم الصوفية وأجوائها الغامضة

وجابريل مارسل لا يؤمن بالشيوعية ويعتقد بأنها في دعوتها لتبسيط الأدب والفن والثقافة لتكون في متناول « رجل الشارع » تبتذل الفكر وتهين الأدب والفن والثقافة الرفيعة ، وتقيد من حرية الفنان والمبدع وتنكر الأسس الروحية للحضارة الإنسانية

ومارسل لا يؤمن بأن العالم الانجلوسكسوني خير من يحفظ تراث الحضارة المسيحية . فذلك العالم مادي في جملته إلحادي في روحه . ولكن مارسل مع ذلك لا يجد بأساً من أن تتحد فرنسا مع العالم الإنجلوسكسوني لأن «مادية» الأمريكان والإنجليز أقل تطرفا من مادية السوفييت ، ولأن القيود المفروضة على الحياة الروحية والإنتاج الأدبي والفني والثقافي في أمريكا وانجلترا ضئيلة بالقياس إلى تلك التي يفرضها الاتحاد السوفييتي على حفظة التراث الثقافي

وقد ترجم كتاب مرسل الجديد إلى الانجليزية بعنوان:
Man against mass Society, By, G-briel Marcel
Published by, Henry Regency Co. New york 1953

مظاهر الاضطهاد الفكري على المسرح الأمريكي

من بين المسرحيات القوية التي افتتحت بها برودواي (حي المسارح في نيويورك) موسمها الشتوي الجديد مسرحية « التنكيل » وهي من وضع الروائي الأمريكي الشهير أرثر ميلار مؤلف المسرحية الخالدة « موت البائع » التي استمر تمثيلها ثلاث سنوات متتابعات على أحد المسارح الكبرى في برودواي ، والتي تعالج فقدان الطمأنينة الروحية في عالم تكتنفه المادة من كل الجهات

والمسرحية الجديدة تتخذ حقبة من التاريخ الأمريكي مجالا لانتقاد موجة الاضطهاد الفكري الذي يواجهها الفنان الأمريكي حين يتطرق إلى معالجة موضوعات فكرية أو سياسية يشوبها طابع متطرف لايتمشى مع سياسة الحكومة الأمريكية في مواجهة الشيوعية السوفيتية

وتدور وقائع المسرحية في مدينة (سالم) الأمريكية التي شهدت في أواخر القرن السابع عشر موجة من الاضطهاد الفكري تولى إثارتها نفر من رجال الكنيسة ضد بعض المتحررين من قيود الفكر المسيحي العتيق ، والذين أصبحوا فيما بعد من دعائم الفكر المسيحي البروتستانتي المعاصر في العالم الجديد

وقد تعمد المؤلف في صلب الحوار أن يقسو أشد القسوة على بعض محترفي السياسة الأمريكان الذين أعمتهم مصالحهم السياسية عن تقدير الرغبة الطبيعية في الانطلاق من القيود الثقيلة التي تهيمن على الفنان المبدع وعلى

التقفين إجمالا

والواقع أن عددا كبيرا من المسرحيات الأمريكية لهذا الموسم الشتوى هزلية أو جدية تحمل فى ثناياها طابع الثورة على هذا النفر من الساسة الأمريكان الذين أخذوا فى الآونة الأخيرة يكيلون التهم لكل من يعالج موضوعا لا يتقيد بأصول الفكر السياسى والاجتماعى الذى يتبعه رجال الحكم الأمريكان

معجم روسى — إنجليزى جديد

خصصت المؤسسة القومية للعلوم الطبيعية فى نيويورك مبلغ ٤٠ ألف دولار لوضع معجم روسى — إنجليزى جديد يعنى بشرح المصطلحات العلمية الروسية ليعين طلاب العلم ودوائر الاستخبارات العسكرية الأمريكية على متابعة التقدم الصناعى والعسكرى فى الاتحاد السوفيتى بعد أن تشعبت المصطلحات العلمية فى اللغة الروسية فى ظل الحكم السوفيتى مما جعل من الصعب إدراك مفاهيمها من المعاجم الروسية — الإنجليزية القديمة

ويشترك فى وضع هذا المعجم الجديد أكثر من ٢٠٠ مترجم يعاونهم عدد من خبراء وزارة الخارجية ووزارة الدفاع الأمريكيتين ونفر من علماء الروس الذين هجروا الاتحاد السوفيتى فى الآونة الأخيرة . وقد تولت دائرة العلوم السلافية فى جامعة كولومبيا فى نيويورك الإشراف على وضع هذا المعجم

رواج تجارة اللوحات الفنية المزورة

يواجه تجار اللوحات الفنية الأثرية موجة من التزوير المتقن لعدد من كبار الفنانين الخالدين بدأت فى فرنسا بعد أن وضعت الحرب العالمية الأخيرة أوزارها وبلغت من الإتقان حدا أذهل كبار الخبراء فى فن الرسم ، وقد بلغ عدد اللوحات المزورة أكثر من ٦٠٠ ، ابتاع أكثرها السواح الأمريكان الذين يؤمون باريس بحثا عن اللوحات الفنية فى مونمارتر والضفة اليسرى من نهر السين

وهذا النوع من التزوير الفنى يقتصر على أئمة الفن القدامى الذين ضاع أكثر انتاجهم

وقد تخصص أحد تجار الرسوم الفنية فى باريس مؤخرا فى فحص هذه اللوحات المزورة وأصبح مرجعا وثيقا يؤمه الناس من كل مكان . والرجل (واسمه أندريه شولر) فى الرابعة والسبعين من عمره وقد جنى ثروة طيبة من هذا التخصص

سلسلة أفلام ملونة عن جحا

شرعت إحدى الشركات السينمائية التركية فى إصدار سلسلة من الأفلام السينمائية الملونة عن «جحا» الشخصية الفكاهية المعروفة فى الأدب الشعبى . وستعتمد هذه الأفلام ابراز النوادر المليحة التى حيكت حول هذه الشخصية الفكاهية المحبوبة ، وبعض هذه النوادر من صنع الرواة والبعض الآخر من صنع جحا نفسه . وقد اقتبست الشركة التى تولت هذا الإنتاج أسلوبها فى بناء هذه السلسلة السينمائية عن هوليود وعن كتاب القصص الفكاهية المتسلسلة التى يحسن الأمريكان صنعها . وهذه القصص تدور حول شخصية شعبية معينة وتستمر فى استعراض نوادره وما صاحبها من ظرف وعبث فى حقبة بعض حقبة وقد تطول هذه السلسلة إلى أعوام فى أعمدة الصحف أو فى الأفلام السينمائية القصيرة التى يرجع تاريخ بعضها إلى أكثر من عشرة أعوام ولا تزال تصدر بانتظام

وسيسجل الفلم التركى الأول عن « جحا » وحياته كمدرس فى إحدى قرى الريف التركى وصاحب هذه الحقبة من تاريخ هذه الشخصية الفكاهية من ألوان النوادر واللمح

في عالم الكتب: نقد وتعريف

بعد الغروب

تأليف الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله

للدكتور عبد القادر القط

هذه قصة للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله نشرت قبل هذا العام ثم أعاد نشرها نادى القصة منذ شهرين . وهى تصور أزمة عاطفية فى حياة شاب تخرج فى كلية الزراعة فمضى يبحث عن عمل . وانتهى به المطاف إلى أن يشتغل ناظر زراعة فى مزرعة يملكها أديب كبير . وكان المالك وابنته أميرة يزوران القرية لماما فيمضيان بها أياما أو أسابيع يعودان بعدها إلى القاهرة . وكذلك أحب الفتى أميرة حبا صامتا لم يرد أن يفصح عنه لأنه كان يرى نفسه أحقر من أن يتطلع إلى من كانت فى مثل ثرائها . ولكن خادمته زينب — وكانت بدورها تحبه حبا يائسا — تقرب بين الحبيبين حتى يتصارحا . ويعرف عبد العزيز — وهذا هو اسم الفتى — أن والد أميرة يريد أن يزوجها لابن عمها سامى فيستبد به الحزن ولكنه يحاول أن يعرف شعور أميرة نحو هذا الخطيب ويتكفل له بذلك صديقه صالح الذى يقيم فى القاهرة فيراقبها ويتتبعها وينتهى إلى أنها لا تحمل لابن عمها شيئا من الحب . وتعد أميرة بأن تحدث أباها فى الأمر ، ولكنها تتريث وتتردد حتى تجد أباها لجأة على فراش الموت يبارك بنظراته المعبرة زواجها من ابن عمها . وهكذا تجد أميرة نفسها مضطرة إلى اصطناع الانصراف عن عبد العزيز لأنه فقير . ويفترق الحبيبان

والقصة كما ترى قصة « رومانسية » تصور سلسلة من التضحيات المفتعلة البعيدة عن واقع الحياة . فالأب يضحى بمستقبل ابنته فى سبيل الوفاء لأولاد أخيه ، والبنت بحبها فى سبيل الوفاء لذكرى أبيها وتحقيقا لرغبته وهو على فراش الموت ؛ وزينب تضحى بحبها لتسعد سيدتها فتجعل من نفسها رسولا بين العاشقين ؛ وصالح يبذل تضحية من نوع آخر فيكلف نفسه أن يراقب بيت أميرة فى إحدى الضواحى عدة أيام ليتابعها ويعلم مبلغ علاقتها بابن عمها ، حتى القصة القصيرة التى كتبها سيد العزبة ترمز إلى هذه المثالية المفرطة ، فبطلها العامل الفقير يضحى بحبه لتتزوج فتاته ثريا تنتفع أسرتها الفقيرة بثروته . وقد تحسن المثالية فى القصة إذا كانت ثورة على قيم زائفة وأوضاع خاطئة وصراعا بين عواطف سامية وأخرى وضيعة ، أما إن كانت استسلاما مطلقا لمشاعر بينة الانحراف فهى عيب لا شك فيه . فإغراق الأب فى الوفاء لأولاد أخيه على حساب ابنته عاطفة زائفة ، وتبرع زينب للتوفيق بين سيدتها وسيدها الذى تحبه هى نفسها شيء غريب ، وما صنعه صالح فى سبيل صديقه أمر يتنافى مع الكرامة والجد . وقل ذلك فى سائر التضحيات التى تحفل بها هذه القصة . وأبطال القصة بهذه المثالية الزائفة يتنكرون لأنسانيتهم ويذعنون لقضاء قيم باطلة تتحكم فى مصايرهم دون أن يكون هناك على الأقل صراع عنيف قد ينتهى بالفشل أو النجاح ، ولكنه فى كلتا الحالين يؤكد إنسانية الشخصية وبطلان هذه القيم سواء خرجت من الصراع منتصرة أو مخذولة

واختفاء الصراع القوى نتيجة لهذه الفضائل المفتعلة يفرض على المؤلف أن يختلق مبررا لكل عمل يجانب — فى رأيه — المثل الأعلى للسلوك الفاضل ؛ فأميرة تحب عبد العزيز وتنصرف عن ابن عمها لا لأنها أحست ميلا فطريا نحوه ، ولا لأنها إنسانة يمكن أن تتحول مشاعرها إذا ما لقيت رجلها المنشود ، لا … فإن ذلك لا يتسق مع العالم الفاضل الذى رسمه المؤلف إذن فليكن ابن عمها شابا « ألذ الأوقات التى يقضيها فى أربع وعشرين ساعة وقت يمضيه عند الحلاق أو فى الحمام أو واقفا أمام واجهة أحد المحال ليرى أكثر الألوان انسجاما على ذوى الوجوه البيض … يجيد التحدث عن الأفلام ويحفظ اسماء الممثلات

خاصة حتى لقد نظمت إحدى المجلات الأسبوعية مسابقة عويصة الموضوع فكان الفائز فيها . وكانت هذه المسابقة هي أن رسمت المجلة عشرة أزواج من عيون الممثلات بين غربيات ومصريات وكتبت في أعلى الصفحة « أتستطيع أن تعرفهن من عيونهن » وكان الأستاذ سامي هو الذي عرفهن جميعا بما له من عبقرية ... يمضغ الكلمة مرة أو مرتين قبل أن يتفضل بها عليك فيخرجها من فمه ثم يرسلها من بين شفتين تأخذ سفلاها وضعا وتأخذ علياها وضعا آخر عند مخرج الكلمة . يحرك عنقه بتقدير لأنه يخاف على بنيقة قميصه المنشاة أن تنكسر ، وعلى عقدة رباط العنق أن تتحول الخ » وهكذا يجد المؤلف عذرا لبطلته إذا ما انصرفت عن ابن عمها المخنث إلى الفتى الجاد المستقيم دون أن يمس ذلك ما ينبغي لها من عفة العواطف ومثالية الأحاسيس ، وهذا بعينه ما فعله السباعي في قصته « إني راحلة » حين وصف زوج بطلته بأفذع من هذا ليبرر فرارها منه إلى حبيبها . وإذا جاز للوالد في قصة السباعي أن يزوج ابنته لهذا المخنث سعيا وراء الجاه والمال فكيف جاز للوالد في قصتنا هذه أن يرتكب هذا الإثم وهو الأديب الكبير والقصاص الخبير بدخائل النفوس ولم يكن له من وراء ذلك مغنم ؟ وكيف استباح أن يقول لابنته « إن سامي شاب لا أرى فيه ما يمنع أن يكون زوجا لك » وفيه تلك الخصال الذميمة التي وصمه بها المؤلف ! إن أية فتاة في موقف أميرة يمكن أن تحب أي فتى يعترض سبيلها مادام فيه شيء من رجولة تناقض ما في سامي من تخنث . وعندئذ يكون حبها فرارا من خطيب خلا من كل ما يجتذب المرأة لا استجابة لشعور طبيعي بأن في ذلك الرجل مقومات الرجولة المتمثلة في نفسها . وتلك عاطفة لا يمكن أن ترضى المحبوب ولا تتأصل في نفس المحب . لذلك خلت القصة من الصراع الجدي الذي يخلق من المواقف والمشكلات ما يعقد الأحداث ويرتفع بالأزمات النفسية إلى مستوى يتجاوب معه القارئ وينفعل به . فالقصة تمضي هادئة رتيبة ، انتظار من عبد العزيز لقدم أميرة وأبيها إلى القرية ، ومناوشات عاطفية غامضة مكبوتة ، ثم رحيل مفاجئ إلى القاهرة ، ثم انتظار جديد من عبد العزيز ، ثم عودة من أميرة . والبطلان في كل ذلك لا يكادان يبذلان أية محاولة جدية للتغلب على ما في طريقهما من صعاب . ومن العجب أن تتخاذل أميرة وتستسلم لمصيرها المحتوم في مثل هذا الفتور وقد صورها المؤلف ذات شخصية قوية يهابها عمال المزرعة أكثر مما يهابون أباها

هذا عن شخصيات القصة وطابعها العام . أما بناؤها الفني وتسلسل حوادثها ففيها أيضا كثير من التكلف . وترتيب الوقائع كما يشتهي المؤلف لا كما يقتضي منطق الواقع وطبائع الأشياء . وأضرب لذلك مثلين : الأول حين يكتب عبد العزيز إلى صديقه صالح في القاهرة يطلب إليه أن يراقب أميرة ليعرف مدى علاقتها بابن عمها سامي . ودعك مما في هذا الطلب من غرابة ومما في استجابة الصديق له من تبذل ، وانظر كيف تسنى لصالح أن يعرف أن أميرة تحب صديقه عبد العزيز . لقد انتظر أمام بيتها عدة أيام دون طائل ثم أسعفه الحظ فرآها خارجة مع أختها الصغيرة . وتسأل الصغيرة عن سر نزولهم إلى القاهرة بلا سيارة فتجيبها : أتعتقدين أنه من الضروري أن يركب كل الناس سيارة خاصة .. سنركب القطار والترام . ونفهم من هذا الحوار أن هذه كانت أول مرة تخرج الفتاتان فيها بلا سيارة ، لا لشيء إلا ليتيح المؤلف لصالح أن يتبعهما . ثم تدخل الفتاة مسكنا في الطبقة الأولى من إحدى العمارات عرف صالح أن ساكنه يحترف قراءة الكف . وهكذا يقتضي تلفيق الحوادث مرة أخرى أن تختار الفتاة هذا اليوم من بين الأيام جميعا لتستشير العراف في أزمتها العاطفية وأن يكون مسكنه في الطابق الأول حتى لا يتكلف المطارد من أمره عسرا .. ! ثم تدخل السينما فيوفق الحظ « صالح » فيجلس بالقرب منها ثم تكون المفاجأة الأخيرة حين تصور القصة على الشاشة مأساة عبد العزيز وأميرة ،

ويلتفت صالح فإذا هى تكفكف دمعها بمنديلها الأبيض فهى إذن تحب صديقه عبد العزيز !

أما المثال الثانى فحين يستشير عبد العزيز صديقه صالح « قاموس الحب » ماذا يفعل حتى تصرح أميرة بحبها له فيشير عليه بأن يثير غيرتها ، ودعك من سذاجة هذه النصيحة وانظر كيف رتب المؤلف الحوادث بعد ذلك . تقدم أميرة إلى العزبة فى إحدى زياراتها المتقطعة ، ولأول مرة نرى بصحبتها صديقة « مرحة طائشة ذات ضحكة ناعمة ، وصنوعة الزينة الخ ... » ويفهم القارئ بلا عناء أن المؤلف قد ساق هذه الفتاة إلى القرية وصنعها بهذه الصورة ليطبق عليها عبد العزيز الدرس الذى تلقاه من صديقه . وهكذا كان ... وفى لمحات خاطفة اشتبك الإثنان فى غزل صريح مكشوف دون مقدمات لينتهى المؤلف من غايته سريعا فيثير غيرة أميرة . وقد كان المؤلف يستطيع ألا يقدم لهذه التجربة بتلك النصيحة من صالح وكان يستطيع أن يصور الزائرة طيبة متزنة وكان طبيعيا حينئذ أن يحتفى بها عبد العزيز إكراما لها كزائرة وأن تضيق صاحبته بهذه الحفاوة فيفطن إلى هذه الحقيقة النفسية البسيطة ويمضى فى استغلالها ، ويكون الموقف عندئذ من واقع الحياة . لا من « القاموس »

وبمناسبة الحديث عن القاموس نحب أن نقول كلمة قصيرة عن لغة القصة وأسلوبها ؛ فالمؤلف حريص أشد الحرص على الأسلوب العربى الرصين الذى لا يتلون كثيرا باختلاف المواقف والأشخاص . وهو يفضل الحوار العربى على العامى ولو كان الأخير أقدر على تصوير الشخصية أو الموقف . وقد يكون فى هذا مجال لاختلاف وجهات النظر ولكنى لا أستطيع أن أقره على استعمال « المحط » مثلا بدل « المحطة » تلك الكلمة الحية المألوفة . وإذا كانت لغتنا الأدبية غير قادرة على التطور الذى ينبعث من استعمال اللغة فى الحديث فلا أقل من أن تتيح لنا التطور على أقلام كتابها . وفى القياس مندوحة عن هذا التزمت فكلمة المحطة لها نظائر فى اللغة كالنزلة والنزل بمعنى مكان النزول

وسلطان الثقافة العربية القديمة واضح كل الوضوح فى صور المؤلف وتشبيهاته ، فهو يقول مثلا إنه قبل عنق صاحبته « فكأنما قبل عاجا دافئا » ! ترى لو قبل المؤلف قطعة دافئة من سن الفيل أكان يستعذب هذه القبلة ! إن التشبيه أداة فعالة فى يد الروائى تغنيه فى كثير من الأحيان عن الوصف المطول والتحليل المبسوط وخير له إذا لم يوفق إلى تشبيه معبر طريف ألا يلجأ إلى الصور التقليدية التى لا معنى لها ، خاصة أن تشبيه العرب الجلد بالعاج كان يقصد به دائما اللون لا الملمس

بقيت كلمة قصيرة أخرى عن نهاية القصة فإن بها شيئا من الغموض . فالبطل يقص علينا أنه نشر قصة حبه فلما قرأتها أميرة جاءت تفسر موقفها وتعتذر عن زواجها من ابن عمها . والقصة التى بين أيدينا هى قصة حبه كذلك فهل هى طبعة ثانية من القصة الأولى أضيفت إليها الخاتمة !

عبد القادر القط

آراء وأنباء

بين الأزهر ودار العلوم

أولى بالذى يريد الإصلاح أن يجادل بالتى هى أحسن وأن يبرز العيب فى صورة النصيحة .. وبذلك يستطيع النفاذ إلى غرضه

أنا لا أجرد الأزهر من العيب عامة ، ولا أجرد الأستاذ الطاهر مكي من النية الحسنة عامة ، ولكن العيب غير ما ذكر ، والنية الحسنة تعثرت فى سوء التعبير وكان حريا به أن يذكر الحقائق مجردة عن التهويل والمبالغة ، وألا يستند فى اتهامه إلى الكلمات التى يرددها طلاب الأيام الأولى من السنة الأولى الابتدائية ، يدعى كل أن الحكمة والفلاح فى مذهب الإمام الذى يدرس الفقه على طريقته

والحضور والغياب وعملية التفريغ ليست بالوجه الذى ذكره الأستاذ وإن كان القليل منها وباء قد أصيب به جسد التعليم فى مصر عامة لا فى الأزهر فحسب . وليس بخاف علينا جميعا تفنن بعض الطلاب فى طرق الغش وأساليبه ، وإقبال نفر من المدرسين على بيع أسئلة الامتحانات لمن غمرت جيوبهم الأموال ، أو كانوا على قسط من المحسوبية أو القرابة .. والتخلص من هذا الوباء يحتاج إلى علاج جماعى يرتكز على تلقين مبادئ الأخلاق والاعتماد على النفس للتلاميذ والطلاب على اختلاف أشكالهم ، وتباين مدارسهم ومعاهدهم . والمكافأة والجراية وبدل الغداء وبدل الكتب ، قد أخطأ الأستاذ فى عدها . وأغلب الظن أن المسألة قد عالت فى يده — من ثلاثة إلى أربعة — من غير موجب ، أو لموجب يعلمه هو . فالجراية وبدل الغداء شئ واحد فقط ، ثم كيف تكفل هذه الدراهم القليلة حياة نظيفة ؟! فبدل الكتب لا يفى بشراء اليسير منها ، وبدل

الغداء لا يطعم وجبتين والمكافأة ثلاثمائة قرش للطالب فى كلية اللغة العربيه ومئتان للطالب فى كليتى الشريعة وأصول الدين ، والطالب فى القسمين الابتدائى والثانوى لا يتقاضى مكافأة ما ... اللهم إلا إن كان للحياة النظيفة مقياس خاص عند الأستاذ الطاهر

هذه هى الحقائق التى نشرت مزيفة نقدمها للأستاذ ؛ فإن كان يريد الإصلاح حقا — والأزهر فى حاجة إلى إصلاح شأنه شأن جميع مرافق الدولة — فليسلك فى نقده مسلكا حسنا ، ولينهج فى علاجه نهجا مستقيما ، وليرم بفأس الهدم بعيدا فما أمس حاجتنا فى هذا الوقت إلى الترميم والتعمير ، والتشييد والبناء

عبد اللطيف فايد

ستى وست

نشرت مجلة الرسالة الغراء فى عددها ١٠٢٠ الصادر فى ١٩ يناير سنة ١٩٥٣ ما كتبه الأستاذ جمال مرسى بدر إلحاقا لما كتبه فى العدد ١٠١٦ من تلك المجلة . فرأيت أن أقول :

١ — كان نشر فى العدد ٧٦٦ من مجلة الرسالة الصادر فى ٨ مارس سنة ١٩٤٨ شئ حول كلمة ست نقلا عن رسالة الغفران

٢ — وأيضا ورد فى الصفحة ٧٦ من (معجم عطية فى العامى والدخيل) تأليف الشيخ رشيد عطية ؛ المطبوع عام ١٩٤٤ فى دار الطباعة والنشر العربيـة : سان باولو : برازيل . ما أعيد نقله هنا (ست : يعنون بها سيدة . قال الفيروزبادى : وستى للمرأة أى يا ست جهاتى وهو لحن . الصواب سيدتى . وفى الشفاء : وقولهم ستى بمعنى سيدتى خطأ وهى عامية مبتذلة ، ذكره ابن الأعرابى وتأوله ابن الأنبارى فقال يريدون يا ست جهاتى وتبعه الفيروزبادى وهو تكلف وتمحل واليه أشار البهاء زهير : —

روحى من أسميها بستى فتنظرنى النحاة بعين مقت

يرون بأنى قد قلت لحنا ... وكيف وأنى لزهير وقتى
ولكن غادة ملكت جهاتى ... فلا لحن إذا ما قلت ستى

٣ — ومن مراجعة الصفحة ١٢٢ من كتاب شفاء الغليل فى ما فى كلام العرب من الدخيل تأليف شيخ الإسلام وخاتمة العلماء الأعلام شهاب الدين أحمد الخفاجى قاضى العساكر بمصر . المطبوع بالمطبعة الوهبية سنة ١٢٨٢ كما ورد فى الصفحة ٤١٣ ج ٣ مجلد ٢٣ من مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق — نجد أن المؤلف المذكور قال : (سيدة : وقولهم ستى بمعنى سيدتى خطأ وهى عامية مبتذلة ذكره ابن الأعرابى وتأوله ابن الأنبارى فقال يريدون يا ست جهاتى وتبعه فى الناموس فقال وستى للمرأة أى يا ست جهاتى كناية عن تملكها له ولا يخفى أنه تكلف وتمحل واليه أشار اليها زهير وذكر الأبيات

٤ — وقبل أن أقفل كلمتى هذه أقول : لا أدرى كيف قال الشيخ رشيد عطية — على سعة إطلاعه — الفيروزبادى وكان يجب أن يقول الفيروزابادى كما ذكر فى كتاب (ضبط الأعلام) وهذا ما كنت ذكرته للأستاذ عباس خضر فى عدد الرسالة ٨١٢ وجاوبنى عليه فى العدد ٨١٣ منها فانظرها والعدد الذى بعدها أيضا

أكتفى بما ذكرت حول كلمة ست . وسلامى واحترامى إلى السيد جمال مرسى بدر أولا وآخرا

أحمد الظاهر

الى الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

قرأت فى العدد (١٠٢٢) من الرسالة الغراء مقالة الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى عن ترجمة الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار لكتاب « الزنابق الحمر » لطاغور

وقد استوقفنى فيه قوله : « والمترجم من مكة المكرمة ، ولكنه درس فى مصر ، ولذلك لا يحس فى أسلوبه أو عبارته أى غرابة عن اللغة المصرية . وهو يعرف اللغة البنغالية .. الخ »

والذى كنت أعرفه عن مصر — إلى وقت قريب — أن لغتها العربية ، وأنها أكبر معقل لهذه اللغة التى هى أيضا لغة الحجاز والعراق وكل قطر عربى ، وإن هذه اللغة على الاختلاف البسيط فى لهجاتها العامية — شأن كل لغة — إذا كتبت صحيحة ، كانت واحدة أينما كتبت ، ومن أى بلد عربى كان كاتبها

فهل يتفضل الدكتور فيفيدنا شيئا عن هذه « اللغة » الجديدة التى درسها المترجم الحجازى الفاضل فأتقنها ، حتى خلص أسلوبه وعبارته من « شوائب » لغته الأصلية .. وهى العربية ، فيما أظن ... وهل له أن يدلنا — مشكورا — أين يمكن تعلم هذه اللغة وهل هناك كتب خاصة لتعليمها ؟

نجدة فتحى صفوة

مصر تساهم فى تشييد مدرسة إسلامية فى كرديف

أعلنت الجالية الإسلامية فى كرديف التى تشرف على جامع « نور الإسلام » فى تلك المدينة أنها قد انتهت من وضع الخطط الخاصة ببناء مدرسة جديدة لتعليم الأطفال المسلمين اللغة العربية قراءة وكتابة مع دراسة شاملة للقرآن الكريم

وجدير بالذكر أن كرديف تضم أكبر جالية إسلامية فى بريطانيا إذ يبلغ تعداد أعضائها خمسة آلاف مسلم منهم العربى والصومالى والأفريقى والهندى والباكستانى

وقد نظم مسجد (نور الإسلام) تحت إشراف إمامه الشيخ أحمد حسن القلمى ، دراسات مسائية لأطفال الجالية يحضرها حوالى ٢٥٠ طفلا . ومعظم هؤلاء الأطفال تقريبا يتكلمون العربية بطلاقة تامة كما درسوا سنن الرسول صلوات الله عليه . ومع أن جميع هؤلاء الأطفال يتلقون العلم فى المدارس الإنجليزية إلا أن الجالية فكرت فى تشييد

هذه المدرسة للمحافظة على الثقافة الشرقية وما تمتاز به من طابع خاص

وستشيد المدرسة الجديدة بجوار مسجد «نور الإسلام» وهي تتكون من طابقين وتضم خمسة فصول تتسع لعدد يتراوح بين ١٢٠ و١٥٠ طفلا . وسوف تستغرق عملية البناء أربعة عشر شهرا ، كما سيكون المبنى على الطراز العربي ، أما تكاليف البناء فتبلغ ٣٥ ألفا من الجنيهات الاسترلينية ستجمع تبرعات من المسلمين في مختلف أنحاء المعمورة . ويشرف على هذه التبرعات الشيخ عبد الله الحكيمي الذي يقوم بجولة الآن في الشرق الأوسط لهذا الغرض . ويؤخذ من الأنباء التي بعث بها الشيخ الحكيمي من القاهرة أن الرئيس اللواء محمد نجيب وكبار المسئولين في الأزهر قد وعدوا بتقديم المساعدات لتشييد مدرسة كرديف ، كما وعدت مصر أيضا بإيفاد ثلاثة من المدرسين للعمل في هذه المدرسة

حول العروض في قصيدة

طالعت بمجلة «الكتاب» الشهرية عدد فبراير ، رسالة بعث بها من القطيف الأستاذ محمد سعيد المسلم فحواها أنه قرأ الملحمة الشعرية التي نشرتها مجلة الكتاب ويلاحظ ما يأتي :

أن مطلع القصيدة مختل ، فصدره من بحر بينما عجزه من بحر آخر ووزنه هكذا

فدع الشامخ ينبئك عن قو واسها البائس في حيث أتاها

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

(من بحر المديد التام) (من بحر الرمل التام)

ثم يقف عند هذه الأبيات الثلاثة حائرا لا يدري إلى أي بحر يردها

- كيف قال الشيخ ؟ كلا ! إنها بعضي ! والمال ؟ بل المال فداها !

إنها الفاقة والبؤس نعم ! هذا غنى ! كلا .. وشاها

بل كفافي فاقة .. لا كيف أنساها ؟ وإني ! وهواها

وأنا أوافق الأستاذ على ملاحظته في البيت الأول فصدره من بحر وعجزه من بحر ولكني أقول له إن التفعيلة الأولى من الصدر « فعلاتن » لا فاعلاتن فهي مبدوءة بمتحركين لا بمتحرك فساكن

أما الأبيات الثلاثة الأخيرة فأستطيع أن أجيب عن حيرته في البيت الأول بأنه من بحر الرمل

كيف قال الشيخ كلا إنها به ضي والمال بل المال فداها

فدخل الخبن (وهو حذف الحرف الثاني الساكن) في كل تفعيلة من تفعيلات العجز . والوزن مختل بالنسبة للبيتين الأخيرين إذ يلزم لكل منهما تفعيلة كاملة حتى يصير مثل سابقه

وتحياتي للأخ « المسلم » وساكن القطيف

محمود بخيت الربيعي

عجيبة وأي طحن

دأب الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي أن يدفع إلى مجلة « الكتاب » بقصائد لأمير الشعراء فاتها حظها من الذيوع واحتلال مكانها بديوانه إلى جوار أخواتها

وقد دفع إلى تحرير مجلة « الكتاب » عدد أكتوبر ١٩٥٢ م بقصيدة « الله » ص ٩٧٤ . ولقد وفق في نشرها وأصاب وألذ الشراب ما صادف غليلا

واسترقفني وأنا أطالع عدد ديسمبر ١٩٥٢ م من المجلة : استوقفني هذا العنوان « شوقية أخرى » وذيل بكلمة ما أراها إلا من أسرة تحرير المجلة جاء فيها « ... وها هو ذا اليوم يتحف القراء بشوقية جديدة لم ترد في الديوان بل نشرت في جريدة اللواء بتاريخ ١٤ أبريل ١٩٠٤ م ... »

وأخذت أقرأ القصيدة الجديدة فإذا هي قصيدة « صجيج الحجيج » المنشورة في ديوان شوقي جزء أول ص ٢٥٢ !

طرائف وقصص

قارئ الأفكار

للأستاذ كمال رستم

ما أسعد هؤلاء الذين يستطيعون قراءة الأفكار ! إنهم يحيطون بنظرة واحدة بكل ما يدور فى رؤوس الناس فيدركون ما يكنونه لهم من حب أو بغض . ولا تجدى فى خداعهم هذه الوجوه التى تكتسى بمظاهر انفعالات كاذبة ، ولا هذه الكلمات التى لا تنطوى حقيقتها إلا على الحقد والشر ! فيدركون بنظرة واحدة تنفذ إلى أعماق النفس ، وتسبر أغوار القلب إن كان من يخاطبونهم صادقين أو كاذبين ! مخلصين أو مخادعين ! أشرارا أو أخيارا ! ويعيشون بفضل هذا العلم سعداء مجدودين !

تواردت هذه الخواطر على ذهنه وهو جالس إلى المائدة أمام صديقه الجندى الهندى ، وكان قد التقى به لأول مرة فى إحدى القهوات العامة وعلم منه أنه أحد أفراد الوحدات الهندية التى جاءت إلى مصر فيمن جاء من جنود الحلفاء للدفاع عن الإمبراطورية ! واتصلت بينهما صداقة متينة فقد كان الجندى « نهرو » مثالا لدماثة الخلق ولين الطباع . وكان إلى ذلك ملما إلماما واسعا بعلم قراءة الأفكار !

بهر أحمد هذا العلم الذى يمزق أستار المجهول ويرده فى نظرة واحدة واقعا ملموسا .. ولقد قرأ نهرو أفكاره وتحقق له أن ما قاله كان صحيحا كله !

ود أن يبلغ مبلغ نهرو من القدرة على قراءة أفكار الناس .. واستغرق فى تأمل عميق حلو وقد شبه له أنه وهب هذه القدرة .. وبدا له أنه ليس على أديم الأرض من هو أسعد منه !

لقد صارت له نظرة نهرو الفاحصة النافذة .. ولن يعود فى مستطاع عملائه الكثيرين أن يخدعوه ، وسيعرف من منهم الذى يبيت له النيات الطيبة ومن الذى يبيت له النيات الخبيثة .. فيعامل الأول ويجفو الثانى .. وسيتحرر

ورجائى أن نتعود التحرى ، وأن نحد من غلواء الثقة . وسوء الظن عصمة

محمد محمد أحمد الناجى

إلغاء جائزة تيسير الكتابة العربية

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية إلغاء الجائزة ، التى كان قد أعدها منذ سنوات ، لتيسير الكتابة العربية ، ومقدارها ألف جنيه . وكان قد تقدم لها كثيرون بمقترحاتهم

دواء للسل يفيد فى الجذام

تلقى المكتب الإقليمى التابع للهيئة الصحية العالمية من ريو دى جانيرو وسان باولو ، حيث عقد مؤتمر خبراء الهيئة للجذام — أنباء تفيد أن الأبحاث التى تناولوها قد تدعو إلى أمل كبير فى إمكان مكافحة هذا المرض وعلاجه

وكان من أهم الآراء التى ظهرت فى المؤتمر أن استئصال الجذام لا يتمشى مع نبذ المصابين به وأن المجذوم أقل نشرا للعدوى من المصاب بالسل ، وأن العقاقير الحديثة التى يتناولها المرضى عن طريق الفم يظهر لها مفعول ناجع

وأن الـ (ب . س) الذى يتقى به السل الآن له نفس الخواص الوقائية للجذام ، كما أن المرأة المصابة تستطيع أن تلد أطفالا أصحاء

ويقول الدكتور ايف بيرود ممثل الهيئة الصحية العالمية فى المؤتمر إن آمالا جديدة تبدو لإمكان سيطرة الطب على هذا المرض

نظره فى وجوه أصدقائه الكثيرين فيعرف المخلص من المنافق .. والطيب من الخبيث ويستخلص لنفسه منهم هؤلاء الذين اجتازوا بنجاح امتحانه الصامت الرهيب الذى لا يعلمون عنه شيئا لأنه لن يطلع أحدا على أنه أوتى هذه الموهبة الفذة !

أما هؤلاء الذين يريد أن يفيد منهم ، فإنه سيمرر فى وجوههم نظره الثاقب فيعرف المرتشى الذى لا يؤدى عملا إلا بالرشوة ، ويحب الملق الذى لا يقدم صنيعا إلا إذ تملقه الناس وخدعوه .. ويعرف الذى ينتوى خدمته من الذى يعطيه وعدا لا يزمع إنجازه .. كل شئ سيحيط به وفى نظرة واحدة فلا يعود ثمة ما يخفى عليه من أفكار الناس ولا من أحلامهم .. فيراهم كما يرون أنفسهم .. وكأنه كامن فيهم !

طافت بذهنه هذه الخواطر فانتشى لها وطرب .. ونازعته نفسه إلى أن يكاشف صديقه نهرو برغبته فى أن يتعلم منه علم قراءة الأفكار .. وتردد طويلا قبل أن يتهادى إلى أذنيه صوت صديقه نهرو يقول :

— لقد قرأت ياصديقى مايدور بذهنك .. وليس أحب إلى نفسى من تحقيق أمنيتك !

وشاعت الفرحة فى قلبه وهو ينصت إلى قول صديقه الطيب وقال والدنيا لاتكاد تسعه من فرط سروره وسعادته

— إنى عاجز عن شكرك ياصديقى نهرو . . ولست أدرى بماذا أكافئك على هذا الصنيع الذى لن أنساه لك مدى حياتى !

شرع نهرو يدرس لصديقه أحمد علم قراءة الأفكار وبذل فى سبيل ذلك من الجهد والوقت ما جعل لسانه يلهج بشكره والثناء عليه .. ولم يدخر أحمد من ناحيته وسعا فى استيعاب دروس أستاذه واستذكارها والرجوع إلى (المراجع) التى وضعها تحت يده ، فقد كانت تشتعل فى نفسه الرغبة فى إجادة هذا العلم الذى أحبه وعشقه والذى سيعود عليه بالنفع والخير ويسلكه فى عداد السعداء المجدودين !

وكان لا ينى عن القراءة فى الليل وفى النهار . . فى المنزل وفى الطريق وفى القهوة التى كان يختلف عليها هو وصديقه نهرو .. وكانت تستغرقه السعادة وهو يطالع هذا العلم الحبيب ، وراح يرقب فى صبر أرعن ذلك اليوم الذى يفرغ فيه من دراسته ويخرج إلى الناس إنسانا جديدا موهوبا يعلم مالا يعلمون !

ولم يسفر لأحد عن سره .. حتى أفراد أسرته لم يكن بينهم فرد واحد يدرى سر وحدته المطرقة وانكبابه على تلك الكتب التى كان يحرص على ألا تمتد إليها يد أو تقع عليها عين ! إنه كان زوجا مخلصا وأبا بارا لابن وابنة ، وكانوا استعداء به كما كان سعيدا بهم ..ولكنهم فى هذه الشهور الأخيرة وقد لمسوا منه إنصرافا عنهم وعزوفا عن ملابستهم. زايلتهم السعادة وتقبضهم الحزن وأمضهم الألم . . ولكن أحدا منهم لم تبد منه معارضة أو جأر بشكوى فقد كان العهد بهم أن يرضوا عن كل تصرف منه دون جدل أو نقاش !

عكف على دروسه يستذكرها ، وقبل أن يضع مواهبه تحت اختبار أستاذه نهرو قام برحلة استغرقت أشهرا استعاد فى غضونها ما حصله ، وامتحن فيها تجاربه .. ولما اطمأن إلى النتيجة التى حصل عليها ، واقتنع بأنه بلغ مبلغ الرضا من أستاذه عاد إليه توا ووضع مواهبه تحت الاختبار العسير الذى أجراه له . . ويا للسعادة الكبرى التى استغرقته حين قال له أستاذه نهرو :

— تستطيع الآن ياصديقى أن تطمئن إلى أنك وصلت.. فإليك تمنياتى !

وشد على يده فقال له :

— إن الفضل فيما أحرزته من نجاح إنما يرجع إلى صدق عزيمتك وعظيم إخلاصك ...

أجابه نهرو قائلا :

— لا تقل ذلك يارجل !

.. ودرج فى الطريق وهو عظيم الثقة بنفسه ، قوى الإيمان بالمستقبل السعيد الهانئ الذى ينتظره ، واستطاع فى نظرة واحدة إلى الوجوه التى صادفته .. وجوه الرجال والنساء أن يحيط بما كان يدور فى رؤوسهم من الأفكار وكانت تسكن هذه الرؤوس الأفكار الطيبة والأفكار الخبيثة والآمال القريبة والآمال البعيدة الطائشة .. أدرك من السعيد المجدود ومن التعس المنكود .. والمؤمن والملحد .. ومن المخلص والمخادع.. وبهرته النتيجة التى حصل عليها ، والنجاح الذى أحرزه فشاعت الفرحة فى أعطافه وأيقن أنه ملك ناحية السعادة وحقق غارب أمانيه !

وتقدم من أحد باعة الفاكهة ليبتاع منه بطيخة ، واستملى البائع الماكر من وجهه نظرة عابرة وحدث نفسه قائلا :

— إنه رجل ثرى .. هذا ما يبدو لى من ثيابه ومن مظهره النبيل .. وأغلب ظنى أنه رجل طيب القلب ساذج وإذا لم تخدلنى فراستى فإننى لن أجد أدنى صعوبة فى أن أتقاضى ثمنها منه مضاعفا .. سأطلب منه عشرين قرشا !

وضحك أحمد فى نفسه ، فقد قرأ أفكار الرجل ووعى ما طاف بذهنه وقال فى هدوء .

— أتبيعها بعشرة قروش ؟

وأجابه الرجل وهو يصطنع الاستخذاء والضعف :

— أقسم لك يا سيدى أنى أخسر إن بعتها بأقل من عشرين قرشا .. من أين يأكل رجل فقير مثلى رب أسرة كبيرة إذا لم يربح ربحا حلالا من رجل كريم مثلك .. أقسم لك أن هذا هو الثمن الذى أبيعها به لكل إنسان .. فأنا لا أفرق أبدا بين زبائنى !

وكان يعلم أنه يغرر به فقال له :

— لا تجهد نفسك فلن أدفع أكثر من عشرة قروش

ومضى فى سبيله ، وما كاد يخطو بضع خطوات حتى تناهى إليه صوت البائع يقول :

— تعال يا سيدى .. هات العشرة قروش .. عوضى على الله : علم الله أننى أخسر فيها !

ولج به السرور عندما ذكر أنه اعتاد أن يبتاع نظائر لها بأضعاف هذا الثمن ، لأن الباعة كانوا وقتذاك يخدعونه ولكنه ابتداء من اليوم لن يستطيع أحد خداعه أبدا !

ونقد البائع الثمن وحمل (البطيخة) على ذراعه ومضى !

وبلغ البيت ، واستقبلته زوجه بابتسامة آسرة رفت على شفتيها وقالت له فى صوت يسيل رقة وعذوبة :

— يا زوجى الحبيب !

وتطلع إلى وجهها ... وفى نظرة واحدة بلغ ما لم يبلغه فى سنوات طوال ... وكانت تتواكب فى ذهنها هذه الخواطر

لم عاد هكذا سريعا ؟ لشد ما أبغضه ! لو يدرى هذا الرجل أننى لم أشعر يوما واحدا ولا لحظة واحدة بأننى أحبه .. لو يدرى أننى أخدعه وأخونه !

هاله ما قرأ من أفكارها .. وكادت الصدمة أن تذهب رشاده ، وتطيح لبه بعد أن تحقق له أنه كان مخدوعا فيها.. وكان قد حول بصره عنها فعاد وصعده فى وجهها الذى بدت عليه البراءة والسذاجة .. وشعر بالامتعاض والتقزز حينما مر بذهنه خاطر خيانتها .. وعجب لامرأته كيف تحمل وجها صافيا ونفسا كدرة كالماء الآسن .. وزخرت بالألم نفسه ، ونهش الحزن صدره ، وانسرقت قواه فتهالك على المقعد فى تراخى بدن مجهد .. وأحس بيد ناعمة تعبث بشعره وطرق سمعه صوت ابنته الحبيبة تقول له :

— فيم تفكر يا أبى .. ألا تخلع ملابسك وتمضى معى

إلى المائدة ؟

ورفع اليها بصره ، وعلقت عيناه بوجهها الجميل .. وفى لحظة واحدة .. أحاط بكل ما كان يدور بذهنها .. وكانت تحدث نفسها قائلة :

— إن أبى يقف حجر عثرة فى سبيل سعادتى .. فهو لن يرضى مطلقا عن زواجى ممن أحب لأنه يريد لى زوجا ثريا .. إننى لا أحب أبى .. والفرار مع من أحب هو السبيل الوحيد لتحقيق سعادتى !

أذهله ما قرأ من تفكير ابنته .. وهاله ألا يكون نصيبه من جملة مشاعرها سوى شعور الكراهة والبغض ، وأن ينحط تفكيرها إلى حد أن تزمع الفرار مع شاب غريب .. غير عابئة بالألم والعار اللذين يخلفهما فرارها لأبيها ! وعجب لأنه عاش ردحا من الزمان بين زوجة تخدعه ، وابنة لا تتردد فى أن تثلم شرفه وتمرغه فى العار وقالت له ابنته

— لم تنظر إلى هكذا يا أبى ؟

أجابها !

— لا شئ يا ابنتى ، لا شئ

.. وخلع ملابسه ومضى معها إلى المائدة .. فرأى هناك ابنه .. ابنه الذى وقف على مستقبله سعادته وآماله .. واستملى من وجهه نظرة عابرة ألمت بأفكاره كلها .. وكان يقول لنفسه :

— إن أبى قوى البنية شديد الأسر .. وقد يدركنى الموت ويتخطاه .. فكيف السبيل إلى الخلاص منه لأرثه .. سأدس له السم فى كوب الشاى الذى ألف أن يحتسيه عصرا .. وسوف لا يدور بذهن أحد أننى الذى فعلت ذلك . وإنما سينصرف الذهن إلى أن تناول الشاى فى الخارج ..

وتحدر بصره عن وجه ابنه .. ابنه المجرم الذى يريد أن يقتاله . وأحس بالألم الممض يعتلج فى صدره وشق عليه الأمر فنهض دون أن يقرب الطعام وارتدى ملابسه وانطلق إلى الطريق !

وفى الطريق قابله بعض الأصدقاء وقرأ فى وجوههم مايضمرون له .. فرأى أنهم خبثاء كذابون مخادعون .. رأى أنهم يريدون أن يغشوه .. أن يسرقوه .. أن يدنسوه ..

وقرأ كذلك أفكار الناس الذين كانوا يعبرون الطريق فرأى أن غايتهم إلحاق الضرر بالوادعين من الأصدقاء .. بالضعفاء من الناس .. وجد أنهم كلهم مراؤون .. مخاتلون لا تنطوى نفوسهم على ما تبديه وجوههم من وداعة ونبل !

وجفل من الناس ، وأوى إلى أفكاره يمايشها .. بدا له الآن أنه خسر الحياة منذ تعلم قراءة أفكار الناس .. ولقد كان يحدس أنه سيغدو سعيدا إن هو بلغ ذلك يوما .. ولكن ها قد تحقق له الآن

— وقد تم له ما أراد — إنه شقى تعس ! يريد به أعز الناس لديه وأقربهم إليه الشر والأذى !

وقال لنفسه :

— لقد كنت سعيدا وقتما كنت جاهلا بنيات الناس .. وكان الخير فى أن أبقى كذلك !

ولكن لم يكن فى مستطاعه الآن أن يعود كما كان .. فيتحرر من علم اكتسبه .. وأيقن أنه سيعيش مدى حياته شقيا تعسا ما دامت فيه هذه الموهبة المشئومة ومادام كل الذين يحيطون به ويعيشون معه لا تنطوى نفوسهم إلا على أحط الغرائز وأبشعها ..

وفى اليوم التالى وجدوه مشنوقا فى غرفته بعد أن ترك لهم رسالة أثبت فيها موهبته المشئومة وأنه اطلع على خداع الزوجة .. وعقوق الابنة وشروع الابن فى قتله ..

وكانت وصاته لهم أن يجردوا أنفسهم من نوازع الشر ما استطاعوا ...

كمال رستم

لغـــويات

عنبر

ترى وتسمع وتقرأ وتكتب : عنبر البضائع ، وعنبر المرضى أو المستشفى ، وعنبر السجن أو الساجين وعنبر العمال أو الورشة وعنبر التلاميذ أو المدرسة وتعرف المراد ، ولكن إذا رجعت إلى المعاجم اللغوية القديمة والحديثة لا تجد فيها (العنبر) بالمعانى الحديثة المألوفة اللهم إلا ماجاء فى (محيط المحيط) ونص عبارته العنبر ... ومخزن الغلة مولدة (ج) عنابر ا ﻫ

وأنا أقول إن العنبر محرف عن (عنبار) وهذا أصله (أنبار) والأنبار له معان منها :

(١) المخزن والحاصل والكلار والبيت .. وما أشبه ذلك من المستودعات

(٢) الأهراء والأكداس والأكوام .. وما أشبه ذلك من الودائع والمحفوظات . ويؤخذ من بعض النصوص أن المخزن ونحوه هو المعنى الأصلى ، ويؤخذ من بعضها العكس كما أن الهرى له معنيان كما ترى وإليك الأدلة :

(١) جاء فى (الألفاظ الفارسية ص ١٥٠ : الأنبار : فارسى محض أى الهرى وأصل معناه الممتلئ ومنه ... أنبار أو عنبار بالتركية والكردية الخ

(٢) وجاء فى (كنزلغات) أنبار : مخزن . حاصل . هرى . كلار

وجاء فيه : أنبارجى وكيل المخزن . مخزنجى . كلارجى

(٣) وجاء فى المعاجم الأنبار : بيت التاجر ينضد فيه المتاع

(٤) وجاء فى مادة (هرى) الهرى بضم الهاء وتسكين الراء بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان والجمع إهراء قال الأزهرى ولا أدرى أعربى هو أم دخيل وجمعه اهراء مثل قفل وأقفال ا ﻫ

(٥) وجاء فى شرح القاموس : الهرى بالضم وكسر الراء وتشديد الياء ؟ ... قلت والعامة تكسر الهاء والراء ومنها الاهراء التى بمصر فى بنسويه (بنى سويف) من الصعيد الأدنى تجمع فيها الحبوب ميرة الحرمين الشريفين فى زماننا ا ﻫ . وضبطه لاهرى أولا وأخيرا خطأ كما سبق والعامة تكسر الهاء فقط مثل جسم وأجسام

(٦) وجاء فى معجم البلدان فى الكلام على مدينة الأنبار ... وقيل إنما سمى الأنبار لأن بخت نصر لما حارب العرب الذين لا خلاق لهم حبس الإسراء فيه وقال أبو القاسم سميت بالأنبار لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة (القمح) والشعير والقت (البرسيم) والتبن وكانت الأكاسرة ترزق (تمون) أصحابها منها وكان يقال لها الاهراء فلما دخلها العرب عربتها فقالت الأنبار ، وقال الأزهرى الانبار اهراء الطعام واحدها نبر ، ويجمع على أنابير جمع الجمع ، وسمى الهرى نبرا لأن الطعام (الحبوب) إذا صب فيه انتبر أى ارتفع الخ ا ﻫ

(٧) وجاء فى المعاجم اللغوية الانبار اهراء الطعام (القمح ونحوه) وأكداسه ، واحدها نبر بكسر الباء وفتحها

(٨) ويقال فيه عمبر بالميم كما هو مقرر فى المعاجم اللغوية بالنسبة لمعانى العنبر الأخرى

المبنى المجمع

اسم أطلقوه على البناء الحكومى فى ميدان الحرية لأنه يجمع شمل المصالح الحكومية المتناثرة . ولا يخفى أن هذه التسمية غريبة وشاذة فبعضهم يقول (المجمع) بفتح الميمين ، وبعضهم يضم الميم الأولى ويشدد الميم الثانية مكسورة أو مفتوحة ، وأرى تسميته (ديوان المصالح) أو ما أشبه ذلك من الأسماء العاريفة المألوفة

علي حسن هلالى